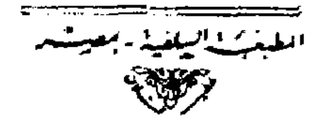
أحمد زكي أبو شادي



المطبعة السلفية - بمصر

أحمد زكي أبو شادي





عُنِيَ بنشرِهِ

عبد المجيد فؤاد و عبد القادر عاشور

خريج المعلمين العليا خريج الازهر ودار العلوم



الطبعة الاولى

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

تمهيد

دعا الى نشر هذا الكتاب الشعورُ المتيقظُ الجديدُ بالحاجة الى مثلهِ بثّاً لروح الشعر في نفوس التلاميذ والتلميذات بالفرق النهائية للمدارس الابتدائية المصرية، فقد جرتْ العادةُ القديمةُ أن يُنظَر الى المحفوظات الشّعرية كوسيلة لاستظهار المفردات اللغوية والتراكيب العربية الأصيلة وانْ لم تتفق وذوق العصر، فكان أغلبُ ما يُختار للحفظ والتسميع أمثلة من النظم المقفّى الجامع لأوامر وعظية جامدة ملَّ سماعها الدهرُ، لا أمثلة للشعر التهذيبي المنظوم، وشتان بين الاثنين. فكان يُرْهق بها الطلبةُ الصغار إرهاقاً، ولا يشفع عند معلميهم رُوحُ التعليم في المدارس الاوربية التي تخالفُ ما كنا نجشم بها أطفالنا ولا نزال نجشمهم أحياناً.

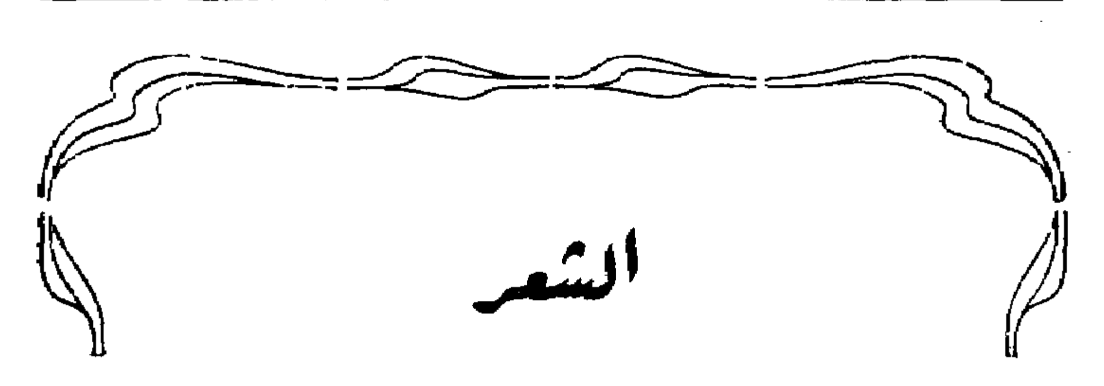
فاذا كان المأمولُ أن تبثَّ هذه المجموعةُ رُوحَ الشعر في النفوس الناشئة مجاراةً لمباديء التربية الحديثة فذلك عن طريق لهجتها العصرية المقبولة وما فيها من نظراتٍ الى جمال الطبيعة ومعاني الفضيلة والمُثُلِ العلْيا ، واذا عُدّتْ ايضا كتاباً مدرسياً مثقِّفاً فذلك لما تضمنته من آراء وخواطر ونصائح لها الصلةُ الكبرى بالتربية الوطنية ، ولها كلُّ الارتباط بمعاني الاخاء الانساني والمساواة والحياة الدستورية مما دلت التجاربُ على وجوب تلقينه للطلبة الأحداث حتى تنمو وتثمر بنموّهم ، فتتغذى في البيئة المدرسية الصفاتِ الخلقية المؤدية الى النظام والفلاح والكرامة والسعادة الحقة ، والى نشر السلام وخير الانسانية .





الشعر

(من تخيل الدكتور أبي شادي ورسم الاستاذ عنايت)



الشعر

انما (الشعر) آيةٌ من جمالٍ   تتغنّى لنا بمعنى الوُجُودِ

جلستْ عندشاطيءِ (النهر) ترنو   لأمانيهِ بين زَهْرٍ وعُودِ

تحت غُصْنٍ من الحُنُوِّ ظليلٍ   فوق عُشبٍ مكلّلٍ محسودِ

وتمرُّ (الحياة) في النهرِ أموا   جاً فتصغي لصوتِها المعبودِ

حُسْنُها زينةُ (الطبيعة) لاالثوْ   بُ ووحيٌ مِنْ عطفِها المنشودِ

هكذا الشعرُ بلسمٌ من عزاءٍ   هكذا الشعرُ نفحةٌ من خُلُودِ

يهزم اليأسَ، ينشر النورَ، يحيي   في نفوسِ الانامِ أشهى الوعودِ

أبو شادى



الشاعر

رَمْزَ الشَّهامةِ والكرا   مةِ والمروءةِ والوفاءْ
ومِثالَ ما جَمَعَ الشبا   بُ من التأدُّب والحياءْ
ياخيِّراً من خيِّرٍ   صَنَعَ[1] التواضعَ والاباءْ
إنِّي شهدتُ أباكَ مَهْ   قَدَ كلَّ خيرٍ أو رجاءْ
وشهدتُهُ للحقّ مدْ   رَهَهُ اذا حُمَّ القضاءْ
وشهدتُهُ يُعطي ويَمْ   نَحُ دون مَنٍّ وادِّعاءْ
يأتي الجميلَ ويصنع ا   لمعروفَ في طَيِّ الخفاءْ
شأنُ المُحِبّ لدى الحبيـ   بِهِ يتّقي الناسَ اتقاءْ
وشهدتُهُ في الخَلْق محـ   بوباً ومَسْمُوعَ النّداءْ
وشهدتُ فيكَ اليومَ موْ   ضِعَ الاحترامِ والاحتفاءْ
والغصنُ إنْ قلَّمْتَهُ   يُنبتْ ويُثمرْ بازدهاءْ

* * *

قُلْ للأديب المقتدي   بابيه : نِعْمَ الاقتداءْ !

---

(١) كوّن، أنجب.



الدكتور أبو شادي

- من رسم الاستاذ عنايت -



لله دَرُّكَ من طبيـ ـبٍ باحثٍ يصف الدواءْ

ويكدُّ في درس العلو مِ من الصباحِ الى المساءْ!

ويزيد مطّلعاً على ما رامَ من أدبٍ وشاءْ

قالوا : طبيبٌ شاعرٌ! قلنا : ونعْمَ الاحتواءْ !

يصفُ التطبُّبَ للجسو مِ وللعقولِ على السواءْ !

ما الخيرُ في جسمٍ سليـ ـمٍ لم يُصَبْ أبداً بداءْ

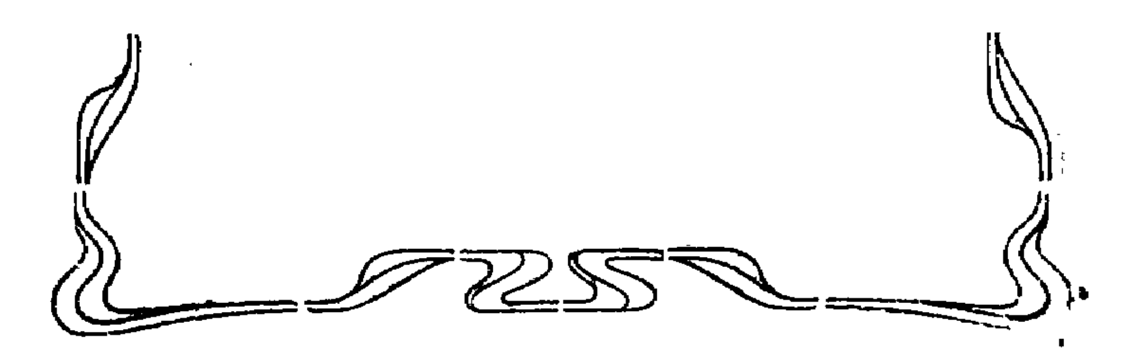
لم يَصْفُ مِنْ زيغ الحيا ةِ أو التملُّقِ والرِّياءْ

الشّعرُ يجلو النفسَ ثمَّ يزيدُ معدنَها نقاءْ

إنْ لم نَرَ الأدباءَ بيْـ ـنَ الباحثين الأذكياءْ

أنراهمو بين الرُّوا ةِ الجاهلين الأغبياءْ ؟ !

حسن الحطيم



مقدمة الكتاب

لاشك في أنَّ الشعرَ في عصرنا لم يبلغ الغايةَ المرجوَّة منه ، ذلك لأنَّنا لازلنا نؤمن بأنه لم يبتديء أحدٌ بمرثية أحسن من قول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجملي جزعاً　　ان الذي تحذرين قد وقعا

وأنَّ أحسنَ بيتٍ وأعربه قول النابغة :

كليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبٍ　　وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

ولا زلنا نروي أبناءنا شعر المتقدمين وندرس لهم تاريخ حياتهم قبل أن يعرفوا شيئاً عن معاصرينا من الشعراء الذين هم بلساننا ينطقون وعما نشعر به يعبرون ! وسبب ذلك ضعف نفوسنا وفتور هممنا . والمرء الذي يفخر بآبائه وأجداده من غير أن يعمل ليكون مثلهم إن هو الا وَكِلٌ متباطيء .

يظهر الشاعرُ وهو متوقدٌ ذكاءً وفطنةً ويبتدع ماشاءت له شاعريته فنرميه بالخروج ونقف سداً منيعاً بينه وبين نبوغه ،

فيضطره ضعفه الخلقي الى أن يرضينا ويحاكي الأولين، فيأسن عذبه وتخمد شاعريته ، ويأتيك بالهراء ويصير شاعراً أثرياً ، يظهر لك خلقاً وان كان جديداً ، وقديماً وان كان حديثاً . وكثيرٌ من الشعراء تحتم عليهم نفوسهم الحرةُ الوثابةُ أن يكونوا في حلٍ من تلك القيود والاغلال وأن يتمشوا مع روح العصر ، فيتقدمون بخطاهم المتواصلة ولكنهم سرعان ما يقابلون بصدمات الجمهور العنيفة ، فترتعد فرائصهم وتخور عزائمهم ، ويرتدون على أعقابهم ، فيهرعون الى الأدب الافرنجي مستظلين بظله سائرين تحت لوائه ولهم العذر ، لأنهم بين ظهراني أمة تجمعت فيها الاضدادُ : تحبُّ قديم آبائها وتبغض جديدها ، ثم هي في الوقت نفسه تبغض قديم غيرها وتحب جديده ! ولذلك ترى هؤلاء الشعراء اللاجئين يقابلون من هذه الأمة بالتشجيع والاكبار مع أنهم حاكوا غيرهم في الشعور الذي هو قوام الشاعر وعماد صناعته ، وكثيراً ما يؤدي ذلك الى عشق الآداب التي لجيء اليها ، واهمال آداب الوطن ، فيرى الوطن من وراء منظارٍ أجنبيٍ .

ويسمع بأذن أجنبية ، ويمسي الشاعرُ وطنياً بظاهره أجنبياً بحقيقته ، وهذا ما نخشاه أيضاً لأننا نريد شاعراً مصرياً بقلبه وقالبه ، وهذا لا يكون الا اذا قُدِّر المبتدعُ وشُجع وعُرف له ابتداعه ونبوغه من غير محاباة ولا مجاملة ، واعتمد الشاعرُ على نفسه وقال الشعر للشعر ولم يثنه عن ذلك وعدٌ أو وعيد .

ومن الذين عُرفوا بهذه الخلال: دعبل الخزاعي الشيعي ، فانه لم يقبل المساومة في شعوره بعطايا الخلفاء العباسيين وبذلهم الطريف والتالد في سبيل ارضائه ، بل هجا المأمون وعمه ابراهيم ومدح آل علي رضوان الله عليهم بأحسن الشعر وأفخر المدائح ، وعاش من أجل ذلك شريداً طريداً ولم يجرؤ أحدٌ على رواية شعره خوفاً من العباسيين فذهب لذلك أكثره ، ولذا نرى كثيراً من الادباء يفضلونه على أستاذه مسلم بن الوليد الذي كان شيعياً مثله ، ولكنه لم يكن الشاعر للشعر بل زحزحه عن عقيدته ذلُّ الرغبة وخوفُ الرهبة والطمع في عطايا الخلفاء والشوق الى مجالسهم .

من ذلك أنه قال :

أنس الهوى ببني علي في الحشا وأراه يطمح عن بني العباس

فأحضره الرشيد لما بلغه ذلك وعاتبه ، فتبرأ مسلم عند ذلك من شاعريته الاولى وشيعيته ، وقال على البديهة : بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا
مستوحشاً من سائر الايناس
واذا تكاملت الفضائل كنتم
أولى بذلك يا بني العباس !

وما ذلك بخلق شاعر ... وهذا هو الذي حمل شاعر العراق الاستاذ الفيلسوف جميل صدقي الزّهاوي على عدم قبول منصب شاعر ملك العراق ، كما حمل الشاعر الطائر الصيت خليل بك مطران على التهارب من وظائف الحكومة التي كثيراً ما ألحت عليه ، رافضاً أن يبيع حريته الأدبية بأي ثمن .

ولم يمدح ابنُ خفاجة الاندلسي ملكاً قطّ ، ولم يقل الشعر الا تلبيةً لداعي شعوره الحرّ ، فأبدع وأقنع ووصف

رياضَ الاندلس وأنهارها وصفاً جعلها به في مصاف جنان الخلد، وكان لشعوره الغلبة عليه في كل أطواره. من ذلك أنه أراد أن يدع الوصف وينتقل الى غيره، فقال راثياً أحد اخوانه:

في كل نادٍ منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء

فيم التجمل في زمانٍ بزّني ثوب الشباب وحلية الادباء؟!

فما عتم أن تغلب عليه شعوره حتى في الرثاء، ولم يشأ أن يفارقه لحظة ولم ينسه الروض والجدول ما هو فيه من حزن على صديقه! هكذا تكون الشعراء، ولمثل ذلك فليعملوا!

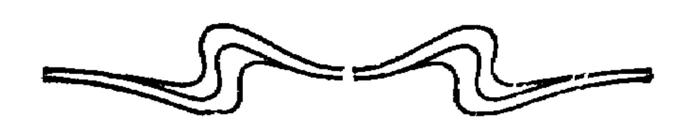
والآن نختم بذكر مافيه عظة وذكرى المتأدبين المعاصرين من قول ابن قتيبة الدينوري أحد ادباء القرن الثالث الهجري، قال: « اني رأيتُ من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه موضع متخيره، ويرذل الشعرَ الرصينَ ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه ورأى قائله؛ ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين

عباده وجعل كلّ قديم منهم حديثاً في عصره ، وكل شريف خارجياً في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل يعدون محدثين ،وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخزيمي والعتابي والحسن بن هانيء. فكلُّ من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به ولم يضعه عندنا تأخر قائله ولا حداثة سنه ، كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم اوالشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه».

ولعلنا اصبنا في اعتقادنا انّ هذا الكتاب المدرسي يمثل قوميتنا وشعرَ العصر التمثيل الصحيح ؟

عبد الحميد فؤاد عبد القادر عاشور

٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٦



المُنْتَخَب

مِنْ شِعْرِ أَبِي شَادِي

الله

هو ما نراه بكلّ حُكمٍ مُذهِشٍ
للكائنات وكلُّ ما تلقاهُ
هو جملةٌ مِنْ قوةٍ وعواملٍ
بنتْ الوجودَ ولم تزلْ تخشاهُ
وتظلُّ تبحثُ عن حقيقةِ كُنْهِهِ
وتظلُّ تجهلُ أصلَهُ ومُناهُ
والمرءُ أصغرُ من إحاطةِ عقلِهِ
بأجلّ سِرٍّ ، جلَّ من أخفاهُ !

الفنون الجميلة

لغةُ النفوس وترجُمانُ (طبيعةٍ)
نثرتْ على هذا الوجودِ جمالاَ

أتحرِّمون مَقَالَها وبيانَها
وهي التي وَفَتْ[1] (الالـهَ) تعالَى؟!

مابين تَصْويرٍ وحفْرٍ شائقٍ
وبناءِ فنيٍّ كساه جلالاَ

وحياةِ أنغامٍ تزيد حياتَنا
طُولاً، وشِعْرٍ بالشُّعورِ تلالاَ

وبديعِ تمثيلٍ يقرّب ماضياً
ويُعيدُ أحوالاً لنا أمثالاَ

هي خيرُ استاذٍ يعلّم جاهلاً
معْنَى الوجودِ حقيقةً وخيالاَ

فاذا قضيتم أن تموتَ قتلتمُو
سِرَّ النُّبُوغ لمن يريدُ كمالاَ

(١) من وفى النذر بمعنى أبلغه، والمعنى المجازي: أخلصت لله تعالى في بيانها ومقالها.

وأضعنْ الجيلَ القريرَ بنهضةٍ

أوْلى به وقتلتمُو الآمالاَ !

مصر للحضارة

بنينـا (للحضـارةِ) ما بنَاهـا

فصار الـكونُ وضَّاءً غنيًا

وما حُجِبَتْ لنا (شمسٌ) طويلاً

فقد عرفتْ لنا (الشَّرقَ) السَّنيًّا

نحنُ لنا (الحضارةُ) أين كانتْ

و (للنيلِ) العظـيمِ أبًا وفيًّا

ونحفظُ من جلالتهـا شِعَاراً

ومنْ أسبابهـا المُلْكَ القويًا

ونحترمُ الشُّعوبَ اذا وَفَتْهـا

ونذكرُ فضلَهـا البـاقي العليًّا

فعيشي (مصرُ) سيدةً وعيشي

فخاراً بملأ (الدُّنيا) دَوِيًّا !

وعيشي (للحضارة) كلَّ عصرٍ
كما أنشأتِ دُولتَها مليـا [١]
فمن أسبابهـا أقوى حُصونٍ
تُعزُّ وتنصُرُ الشعبَ الأبيّا
وفي الغدِ سوف لايبقى بناءٌ
بناه الظُلْمُ جبّاراً عَتيّا!

عماد الامم

ولم أرَ كالأخلاقِ مَظهَرَ أمّةٍ
وَجوْهرَها المُحْيي عزيزَ رجائِها
ولا مُبْدِعَ الأخلاقِ كالحُرّةِ [٢] التي
تُغذّى وتُنْمى من طَهُورِ غذائِهـا
وما العقلُ والعِرْفانُ في الأسرِ قُوَّةٌ
اذا كانت الأخلاقُ صَرْعَى بدائِهـا
فقدّسْ اذا كرّمتَ مَجْداً لأمّةٍ
ونَهْضَتَها حُرّيّةَ ابنـائِها

(١) مليا : زمنا طويلا .
(٢) اي كالامة الحرة .

هي المَنْبَعُ الصافي لِكلِّ فضيلةٍ
وَمَشْرِقُ إلهامٍ وأصلُ سنائِها
فإنْ فُقِدَتْ لم يُغْنِ عِلْمٌ ولا حِجىً
كما يُخنَقُ الأحياءُ مَنْعُ هوائِها !

أبو الهول

لم يُغْنِ شَيْبُ الدّهر منكَ تيقُّظاً
كلاَّ ، ولا نُوَبُ الزّمانِ الخالي !
مرّتْ حوادثُهُ الجِسَامُ روايةً
وكأنَّما أنت الضَّحوكُ السَّالي !
ما بين أروعِها وأغربِها مضتْ
تلكَ القرونُ كَمَرِّ بِضْعِ ليالِ !
وتظلُّ مبتسماً بلحظَيْ ساخرٍ
بالوهمِ والجبروتِ والجُهَّالِ !
تَقْضي بموتِ العابثين مباركاً
جُهْدَ الذين بَنَوْا بناءَ رجالِ
وتُحدِّثُ الأبناءَ لو فَقِهُوا بما
أخفيتَ من أسرارِ مَجْدٍ بالِ

وأجَالُ بِرٍّ وَخِدمَةٌ وتعَاوُنٌ
في رفْعِ أمَّتِهِمْ وحُسْنِ فِعَالِ
فبهـا سمتْ (مصرُ القديمةُ) دولةً
بالمعجزاتِ ، وأيُّ مُلْكٍ حالِ
ولو اهتدتْ (مصرُ الحديثةُ) مثلَها
نالتْ من الآمالِ كلَّ مُنَالِ
فانظرْ — برغمِ الصّمتِ أنتَ مُفَوَّهٌ —
نَظَرَ الدليـلِ بِمُوحِشٍ لرمالِ !
واهدِ الذين نَسَوْا فخارَ جُدودِهِم
لعظائمِ التاريخِ غيرَ مُغالِ !

العصفور

ساكنَ الأغصانِ غرِّدْ	للمُنَى شِعْراً وغَنِّ
صَوْتُكَ الصَّداحُ سِحْرٌ	يطردُ الاحزانَ عَنِّي
أنتَ لا تخشَى هُمُوماً	أنتَ تحيا في اجتهادْ
تُبصرُ الدُّنيا نعيماً	لم يُنغَّصْ بحِدادْ
كُلُّ ما فيها جميلٌ	طالما لم تلقَ أسْرًا !

كُلُّ ما تَهْوَى خليلٌ صادقٌ ، لا مَلكٌ (كِسْرَى)
أنت عنوانُ المعالي أنت رمزٌ للوفاءْ
بالوجودِ الحرِّ غالٍ بالتسامي والإباءْ
تنفقُ العُمرَ مُجِدّاً دون أن تنسَى القناعَهْ
لا ترى عمّاً وجدّاً رُكْنَ مجدٍ أو بَرَاعَهْ
ساكنَ الأغصان غرِّدْ صفْوَ ما يهوى (الرَّبيعْ)
واعطني درساً شهيّاً يُنعشُ القلبَ السميعْ

الفسقية

جلستُ بقربِكِ أتلو الكتابَ فألفيْتُ ماءكِ يتلو كتابَا
له نَغَمٌ مثل صوت الخريرِ على جَدْوَلٍ بالتَّحيات طابَا
يُرَدِّدُهُ في انسجام برفقٍ ويلبثُ يسمعُ منه الجوابَا
قريرٌ بِعُزْلتِهِ في صفاءٍ
مع الروض ، والروضُ يُصْغِي مُجَابَا
فأصغيتُ أيضاً لآيِ السلامِ وأمتعتُ حسّي ولُبِّي ارتقابَا [1]
وفي موجِ مائك معنى الحياة يلاقي السَّلامُ بها الاضطرابَا

(١) ارتقاباً : اشرافا .

فراقبته مطمئناً لأني حسبتُ الصعابَ تحاكي الحبابا !
نجاحُ الحياةِ المرادُ وعزمٌ وأن لا يهابَ الطموحُ الصعابا
ولما دعا للوداع الغروبُ تركتُ هوىً ما استطابَ اغترابا !

سوق البلد

كم رفَّ (١) في قلبي الحنينْ شوقاً « لسُوق البَلَدِ » !
حيثُ المرائي جمَّةٌ في حُسْنِهَا المُطَّرِدِ
ما بين إيناس الطبيـ عةِ وهي تُصْغي للنداءْ
أو ليس من خيراتها البيعُ يُرْجَى والشراءْ ؟ !
كم كنتُ أفرحُ بالدَّجا ج مُهَلِّلاً ومكبِّراً
ومشاهدٍ جمعت صنو فاً للسَّذاجةِ والقِرَى
كم كنتُ أمرحُ وابنَ عمْـ ـمِي بين أنواع الصياحْ !
نختال في طربٍ لأضـ ـرابِ التبسُّط والمِزاحْ
و (النيلُ) يجري قربَنا بين استماع وابتسامْ
يُهدي لنا برَّ الأبُوْ وةِ ثم يقرؤُنا السَّلامْ !
صُوَرُ الطفولةِ هذه صُوَرٌ تعيش بخاطري

---
(١) رف : اهتز .

مَنْ ذمَّ نعمة سالفٍ لا يستعزُّ بحاضرِ !

بنتُ الريف

إنْ دامَ ذِكْرِي (لخضْرَهْ) فكم حَبَاني المَسَرَّهْ
مَضت شهورٌ وشوقي ما هان مثقالَ ذرَّهْ !
أجيالُ بها من فتاةٍ تختالُ تيهاً بجرَّهْ
وتخدمُ البيتَ حتى ينسى بها البيتُ فقرَهْ !
وتخدم الحقلَ حتى تُشَمَّ فيه كزهرَهْ !
وتدرس اليومَ مثلي معنى الوجودِ وسِرَّهْ
في كلِّ عِلْمٍ شهيٍ يُغذِي الى الحسن سِحْرَهْ
ويمنحُ العقلَ نوراً ويمنحُ العينَ قُرَّهْ
ليست تعيش للهوٍ لكن تعيشُ لِنَضْرَهْ
أعْزِزْ بها من فتاةٍ ستمنح (النيلَ) فخرَهْ !



المعلم

لم ألقَ في الدُّنْيا عظيما ... أُوفيهِ من قلبي النظيما
قَبْلَ المعلّمِ مُستَمِزْ ... زاً مستقلاً مُسْتَقيما
يبني لنا جيلاً كما ... يُحْيي لنا الجيلَ القديما
داعٍ الى الصلحِ السَّلِيـ ... ـمِ[1] يردُّ بلسمهُ السَّليما[2]
مِنْ غَرْسِهِ أضحى ازَّجا ... ءُ (لمصر) موفوراً جميما[3]
فهو المهـذّبُ والمثقْـ ... ـقِفُ والمثبّتُ ما أُقيما
الأمُّ إن هي أحسنتْ ... كانت إماماً لا أميما[4]
ليستْ تُكَرَّم للولا ... دةِ بل لاصلاحٍ أُديما
هي والمعلّمُ في سجا ... لٍ يُغنيـان به العديما

(١) اي الى التوفيق بين القديم والجديد .
(٢) السليم اللديغ أو الجريح الذي أشفى على الهلكة .
(٣) الجميم : النبت الناهض المنتشر .
(٤) الاميم مجازاً بمعنى الابله المفتون .

العلم والحرب

سُبحانَ مَنْ حكم الوجودَ قضاؤُهُ
وقضاؤُهُ التقديرُ لا الأقدارُ !
والمنطقُ الحقُّ السليمُ على المدَى
قانونُهُ المتغلّبُ القهّارُ
والعلمُ مبدؤُهُ وغايةُ أمرِهِ
وبه استعزَّ السّائسُ الأمّارُ
المِدْفَعُ المرهوبُ يصدأُ للبلى
والعلمُ لا يمشي اليه العارُ
وتزولُ دولاتُ الفتوحِ وتنقضي
ظُلَمًا ، ويبقى العلمُ وهوَ نهارُ
قوّادُهُ ملءُ الزّمانِ ، وعمرُهُمْ
أمدٌ يزيد وكوكبٌ دوّارُ !
بينا جبابرةُ الحروبِ حياتُهُمْ
مثلُ الهشيمِ سطتْ عليهِ النّارُ !

فَرْدٌ من العلماءِ فوق مقامِهمْ
جَمْعًا ، وتعْلِنُ حمدَه الأدهارُ :

أوراق الخريف

هل كان نثرُكِ غيرَ إيذانٍ بعُمْرٍ قد تقضَّى ؟
هل كنتِ إلاَّ رمز أحلامٍ نفضْنَ اليومَ نقْضَا ؟
مصفرَّةٌ — شأنُ المماتِ ، بحمرةٍ تحكي النَّجيعْ
فكأنَّما قتلتكِ أحكامُ (الخريف) بلا شفيعْ !
يرثيكِ قبلي الطيرُ ، كم أنقذتِهِ يا فانيهْ
كم كنتِ ظلاًّ يتقي فيه العوادي القاسيهْ
ترثيكِ آلافُ الأشعةِ . . . من غرامٍ كم تجلَّتْ
متكسّراتٍ في دلالٍ ، بالزمرّد قد تحلَّتْ !
يرثيكِ باكي الطلِّ كم أرضاكِ من بعد النَّدى
كم كنتِ باسمةً لتحييهِ وتعطيهِ اليَدَا !
يرثيكِ ذاوي العُشْبِ محزونًا لما يجني (الخريفْ)
يرثيكِ لاخِلٌّ يواسيهِ وقد غاب الحفيفُ !
ترثيكِ أفئدةٌ لعُشّاقٍ وهبتِ نقابَهمْ

واليومَ لا ترضى (الطبيعةُ) أن تُجيبَ طِلابَهمْ
يرثيكِ عقـلُ الفيلسوف يراكِ لغزاً مُذهِلاَ
العيشَ والموتَ المعجَّـلَ والرجاءَ المقبـلاَ
يرثيكِ شِعْرُ النَّحْلِ كم غنَّتْ لديكِ مُرَنَّحَهْ
بين الأزاهيرِ السَّـخيةِ والغصونِ المُفْرِحَهْ
ترثيكِ أنَّاتٌ سمِعْنَ من الجداولِ في الخريرْ
قد كنَّ أنغامَ السُّرورِ فصرْنَ آلامَ الزفيرْ
ترثيكِ دُنيا قد تركتِ وأنتِ سكرى راضيهْ
لاتأسفين ، فإنَّ رُوحَكِ رُوحُ دُنيا ثانيهْ !

قوة الحقير

لاتحقِرَنَّ من الصغـيرِ ضآلةً
فلربّما وضحَ الصغـيرُ كبيرَا
فالصقرُ قد تُشقيه ضيعةُ ريشةٍ
ما كان يعرفُ قدرَها ليطيرا !



عرسُ الأصيل

غنَّى الأصيل فقمتُ أرقبُ عُرْسَهَ
قبل التفرُّقِ في المساءِ الدَّاني
فإذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما
رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غوانِ!
يتموَّجُ الماءُ الطَّروبُ وتزدهي
وثبانُها عجباً على الأغصانِ!
طوراً مُذَهَّبَةً وآناً فضةً
وأعزُّها سِحْرٌ بسحرِ بيانِ!
والتَّمْرُ مُحْمَرٌّ ومصفرٌّ على
عالي النخيلِ كجمعها الفتَّانِ!
جُمعتْ به الأضواءُ بعد تفرُّقٍ
وبدتْ به الجمراتُ حلْوَ جمانِ!
وإذا المروجُ عساكرٌ أعلامُها
خُضْرٌ، تهزّ أسنةَ المُرَّانِ (١)

(١) المران: الرماح اللدنة في صلابة

وإذا العروسُ الشمسُ بين زوارقٍ
هُنَّ السحابُ لبسنَ ثوبَ حِسانِ
وإذا السماءُ بحيرةٌ ترنو لها
عينُ الطبيعةِ والجمالُ الهاني
في معْرَضٍ صُوَرِ الوجودِ ضحوكةٌ
فيه تشاطرُ صفوَه المتفاني !
وأمامه الدنيا على عزْفِ الهوى
سرّاً وجهْراً في أحبِّ زمانِ
أين التفتَّ رأيتَ حُسْناً باسماً
وشهدتَ أحلاماً وصدقَ أمانِ
أُنظرْ معي هذا الفضاءَ وما وَعَى
منْ كلِّ ما يهواه عِشْقُ جنانِ
وتأمَّلْ العرسَ السَّنيَّ وثِقْ بما
يُوحيهِ من حُبٍّ وعَذْبِ معَانِ
ما فاته حتى الجماد ، وحقُّهُ
طَرَبُ العقولِ وغِبْطَةُ الانسانِ !

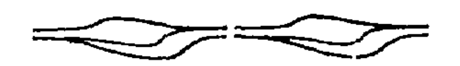


الآداب القومية

وأكرمُ أمةٍ عرفتْ جلالةَ مجدِها القومي
فلا باللهْوِ تحفظهُ ولا بالتَّركِ والنَّوْمِ
ولكنْ مِنْ تشبثِها تَشَبُّثَ حافظِ الصوْمِ

الحلم

اذا عِبْتَ حِلْمًا فالذي أنتَ عائبٌ
شبيهُ سكونِ النورِ في كلفِ الشمسِ !
وللنفسِ ثوراتٌ تُشِعُّ بحرقةٍ
ولكنَّ سلْمَ النفسِ أفعلُ في النفسِ



تبسم للحياة

تبسَّمْ للحياةِ وكُنْ صبُوحاً
على غمراتِها مثلَ (السقيّ) [١]
وكُنْ (كاللُّوتَس) [٢] الضّاحي هنيئاً
وإنْ لم يَنْمُ في ماءٍ نقيّ
تعوَّدَ حظّهُ وأضاءَ زهْراً
وعاش بنعمةِ الحرّ التقيّ [٣]
فتعشقهُ العيونُ بلا سُكونٍ [٤]
ويقنع بالحنين المشرقيّ [٥]
وما سرُّ الحياةِ سوى احتمالٍ
سواءٌ للهنيّ وللشقيّ

(١) السقي: هو نبات البردي المعروف (Papyrus) . قال امرؤ القيس:
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل
(٢) اللوتس : النيلوفر .
(٣) أي غير متطفل على نبات آخر.
(٤) سكون : انقطاع .
(٥) اشارة الى شروق الشمس .

الحظ

الحظُّ ما تعريفُهُ إلاّ مصاحبةُ الظُّروفْ
مستثمراً حالاتِهـا لا في التعبّد بالكهوفْ
فاذا استطعتَ لها انتها زاً كنتَ في حذقِ الحكيمْ
وأخذتَ تمضي من صغيـ ـرِ النفعِ للنفعِ الجسيمْ
وإذا توالى الخيرُ بعـ ـدئذٍ فثقْ ، إنَّ النجاحْ
أساسهُ الرأيُ الصحيـ ـحُ وخطّةُ الجهدِ الصُّراحْ
إنْ قلتَ حينئذٍ بأنْ نَ الدهرَ قد أعطى الأمانْ
فتّشْ تجدْ أنَّ السعا دةَ من جِنانِكَ لا الزّمانْ !

الحياة الشائعة

إنَّ الطبيعةَ في تنوُّعِ شكلِها
مثلان من حُسْنٍ ومن إحسانِ
وبها الصغيرُ قرينُ كلِّ مُجَلَّلٍ
في الرُّوحِ إنْ طُبِعَا على الاتقانِ

مَنْ ذا يقول بأنَّ ذلك خالدٌ

وأخوه في حُكْم الطبيعةِ فانِ ؟!

وكلاهما نَوْعُ الحياةِ دقيقةً

وكلاهما نَوْعٌ من الانسانِ !

إنَّ الحياةَ اذا بحثتَ مُشاعَةٌ

ولربَّ ما اختلفا بها صِنْوانِ !

الاخاء الوطنى

صدّقوني اكلُّ ما يُجدي لكم

حَدُّهُ في حدّ إخلاصٍ متين

عِلمُهُ أن تبذلوا من علمكمْ

ونَداكم بذلَ مفتونٍ أمين

كُلُّكم أبناءُ شعبٍ واحدٍ

بالاخاءِ الحرّ والحُسنَى قمين

مَنْ يهِنْ منكم أخاه قد يُهِنْ

نفسَه ، إذْ كُلُّكمْ ذاكَ الخدين

عمر الامم

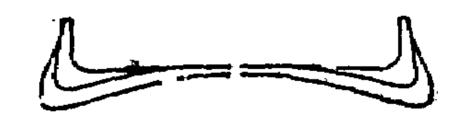
والعُمْرُ للأُمَمِ القرونُ وربّما
تمضي القرونُ وعمرُها بشبابهِ

وغِـذاءُ قوّتِهـا متـانةُ خُلْقِهـا
ودوامُ نهضتِهـا دوامُ جوابهِ

إنْ نالهـا التشكيكُ في آمالِهـا
هجمَ الزمانُ بظُفْرِهِ وبنـابِهِ

وإذا أبتْ إلاّ البـلوغَ لحقّهـا
فالحقُّ مردودٌ إلى أصحابِهِ

وأرى الجهادَ من الجلادةِ سيفهُ
وأرى مآلَ الظُّلْمِ تحت حِرابِهِ



شرف الحياة

شَرَفُ الحيـاةِ مشـاعرٌ [1] ومآثرٌ
وسَخِيُّ وجدانٍ يعيش أميرَا
تفني الجسومُ — ولا أقول فناؤُها
حقٌّ — ولا يفني الشّعورُ أسيرَا
والفـكرُ أبقى منْ زمانٍ بائدٍ
والمـالكُ التّصريفَ والتحريرَا
نبـكيهِ ظُلمـاً بيـنما هو خالدٌ
في الصَّالحات ، وكم يجوب أثيرَا !

القدر بالأعمال

قولوا لمن خـذلَ الغرورُ عقولَهم
القـدرُ بالأعمـالِ لا الميـلادِ
لا تحسبوا أنَّ الوقارَ بعـزلةٍ
شَرَفُ الحيـاةِ له شريفُ ودادِ

(١) مشاعر : عصرية الوضع جمعاً لمشعر (بكسر الميم) بمعنى حاسة ، فالمشاعر هنا بمعنى الحواس ، وقد ذكرها الشرتوني في (أقرب الموارد) .

يتساويان لدى الفخـار : يراعةٌ
يد الأديبِ ومِنْجَلُ الحصَّـادِ
كـلٌ له عَمَلَ يُقَدَّرُ فضـلُهُ
بالنَّفعِ والإخـلاصِ والإسعادِ

عقيدتى

عقيـدتي أنني حيٌّ بوجـداني
أرْقَى به قبل أن أرْقَى بإنسانِ
وكلُّ هذا الوجودِ الفخمِ من خَدَمي
مادمتُ أُخْلِصُ في حُبّي وإيماني !
لا حَدَّ في هذه الدنيـا يُحَدُّ به
ذهني الوفيُّ لتنقيبٍ وعرفانِ
فلن تقيّدَني يـوماً وتخـذلَني
إلاَّ وساوسُ أوهـامٍ وأشجـانِ
ولن يُسيءَ لمثـلي أيُّما رجـلٍ
لكنْ أُسيءُ لنفسي عند خِذْلانِ

وما الشقاءُ مصاباً غيرَ مُحتَمَلٍ
إذا تبيَّنتَهُ مِنْ غيرِ إذعانِ
فأكبرُ الهمِّ ـ مهما جلَّ ـ غايتُهُ
كغايةِ الثلجِ من إشعاعِ نيرانِ !
حرارةُ النفسِ بالايمانِ تُنقِذُها
من الهُمُومِ ومن وسواسِها الجاني
فلا تقصِّرْ عن سعيٍ ، وإن حُرِمَتْ
في يومها لم تنم عن يومها الثاني

الرحمة

خلِّ الوفاءَ الجمَّ قصدَكْ
وابذلْ من الاحسانِ جُهْدَكْ
وامنحْ حنـــانَك للذيـ
ـنَ يرَوْن أُنسَ العيش عندكْ
طَبْعُ الحيـــاة تبـادلٌ
وتعـاونٌ ، فلْتنسَ صدَّكْ

وَجِّهْ قليلاً من حنا
نِكَ للذي يرجوكَ وحدَكْ!
حتى النباتُ مع الجما
دِ تآلفا، فتوخَّ (١) قصدَكْ!
أَحْيِ القلوبَ البائسا
تِ الحافظاتِ العهدَ بَعْدَكْ
إنْ باتَ يفضُلُكَ النّبا
تُ أو الجمادُ فما أشدَّكْ!

الكواكب

نُظِمَتْ كما نُظِمَتْ حرو ... فٌ باتَ يجمعُها كتابْ
فإذا تأمَّلتَ الكتا ... بَ فُتِنْتَ بالعَجَبِ العُجابْ
وإذا قنعتَ بنظرةٍ ... عَجْلَى بعدتَ عن الصوابْ
دُوَلٌ وأحداثٌ وآ ... ثارٌ موفَّقةُ الحسابْ
وعوالمٌ لا ينتهي ... منها الظهورُ ولا الغيابْ
بلغتْ ملايينَ السنـ ... ـينِ وهُنَّ في شَرْخِ الشبابْ!
متلألئاتٌ في عِتا ... بِ اللألى فهموا العِتابْ!

(١) توخى: تحرى.

فجميعُها سرُّ الوجو | دِ تقولُ حقاً لا يُعابْ
حقٌّ لمن نبذ القشو | رَ وهام بالمحضِ اللبابْ
ما الأرضُ إلاّ قطعةٌ | منها يجاذبها اجتذابْ
فمن الرجاحةِ والوفا | ءِ لها الدُّعاءُ المستجابْ !
فتأمَّلْ العمرَ الكوا | كبَ في صلاةٍ لا تُشابْ
براً بمُبدعِ حُسنها | إنَّ التأمُّلَ كالجوابْ[1] !
ولربّما كُشِفَ النقا | بُ فشِمْتَ ماخلفَ النّقابْ !
وسمعتَ منها في التنا | جي ما يهزُّكَ مِنْ خِطابْ !

العاصفة

ما ذا أصابَ النّاسَ والدْ | دُنيا ؟ أبثّ بها الجُنونْ ؟ !
أترى (الطبيعةُ) في جها | دٍ ليس يعقبهُ سُكونْ ؟
ثارتْ فمزّقتْ القِنا | عَ عن الحماقةِ والغرُورْ
وجنتْ على شتّى الحيا | ةِ وماعدتْ[2] حتى الصُّخُورْ !
صاحت بعنفٍ مثلما | صاحَ الغزاةُ على عَجَلْ
فإذا بها تَطْوِي المسا | كنَ مثلما تطوي الأجلْ !

(١) أي كالاجابة المرضية عن سؤالها وعتابها . (٢) عدت : تركت .

وإذا بها في البحر مثـ ـلَ البرِّ تملؤه اضطرابْ
فتكاد تخطؤك الحـوامُ من اصطدامٍ وانقلابْ
وتظلُّ تجهلُ ما وراءَ حُرُوبها وخرابها
حتى تعودَ الشمسُ تضـ ـحكُ بعد طُولِ غيابها !

صوت الام

نَشَرَتْ على الصَّوتِ الحَنُونِ فؤادَها
وحَبَتْ عواطفَها الحياةَ تِباعَا
ما كان أولجَ في المسامع بهجةً
منه ، وأجولَ في النفوس شُعاعا !
عطفتْ على الطفل القرير قريرةً
كالزَّهرِ قبَّله النسيمُ وراعَى !
وشدتْ بألفاظ الحديث كأنه
شِعرُ الغِناء زكا ورقَّ فضاعَا !
نبَراتُهُ فيها الشُّعورُ ممثَّلٌ
حيّاً ، فترمق حُسْنَهُ إيقاعَا !

وكأنما صُوَرُ الجمال توحَّدت
فيه، وكان به الجمالُ مُشَاعَا !
فترى الجوارحَ كلَّها تهفو له
مهما خصصتَ مسامعاً وسَمَاعَا
يا حسنَ هذا الصوت في إحسانه
وبكلِّ ما أهدى لنا وأذاعَا
مَنْ ظَنَّ صوتَ الأمِّ غيرَ عقيدةٍ
تغذو الشعورَ كما تُقيم طباعَا
والأذنُ تهدأ للسكون، وبعده [1]
تأسَى لرنّات ذهبْنَ سِراعَا ؟!

* * *

أمي ذكرتكِ بعد عمْرٍ وافِرٍ
وأنا الشجاعُ فما ادَّكرتُ شُجاعَا [2]
حتى سمعتُ جميلَ صوتك هاتفًا
وهو العزيزُ مملَّكاً ومُطاعَا

(١) أي بعد صوت الام .
(٢) منصوبة على الحال .

فرجعتُ من حُلْمي الشجيّ لرحمةٍ
تترَى عليك وقد نسيتُ وَداعَا
قد كان صوتُكِ في الحياة حقيقتي
مِنْ بَعْدِهِ شِمْتُ الحياةَ خداعَا !
شُكراً لوحيكِ إنني أحيا به !
طوبَى لمن ملك الحنوّ مَتاعَا !
ورِضًى ونعمى للذي يُصْغي الى
أُمٍّ تبادلهُ الحنانَ تِباعَا !

ولع الأب

لا تَلْقَ بالشكوى أباكْ   فلكم حبَاكَ وكم حبَاكْ
أعطاكَ ما ملكت يدا   هُ وصنتَ ما ملكت يداكْ
وهواه مرآك الحبيـ   بُ، فما هواكَ وما رضاكْ ؟
ومُناه أن ترقى وتبـ   لغَ فوق مرتبةِ السِّماكْ
وهو العزيزُ النفسِ لـ   كنْ نفسهُ جُعلتْ فِداكْ
فإذا مشيتَ فقلبهُ   في خفْقهِ يتلو خُطاكْ !
وإذا درستَ فرُوحُه   توحي الذي فيه هُداكْ !

وإذا رجعتَ لبيتـهِ فله السّعادةُ أن يراكْ

مَنْ كُنتَ زهرةَ نفسهِ لم يُحيِهِ شيءٌ سواكْ!

مَنْ كُنتَ غايةَ رُوحِهِ يخشى عليكَ من الشِّباكْ،

جامِلْ أباكَ وإنْ شقيـ ـتَ فإنما تجزي أباكْ!

المدرسة

يا زمانَ الصِّبا تولّيْتَ غضًّا
لم تُخلِّفْ لنا سوى الذكرِ فرْضا

وحنينًا مع الصّحابِ لعهدٍ
كان غُنْمًا لنا من الصفْوِ محْضا

ما عرفناهُ في السعادةِ إلّا
بعد فقدانِهِ ولمّا تقضّى

أين أين الشّكاةُ منه على اللّهْـ
ـوِ؟ فإنّي بضعفِ شكوايَ أرضى!

أين أين الهمومُ من مُتعِبِ الدَّرْ
سِ؟ فهمُّ الحياةِ أقسى وأمضى!

أين سجنُ النعيم في حُجرة العلـ
ـم ؟ فسجنُ الحياة كم ساء رَمْضا!
كم مَرِحْنا وكم لعبنا كأنَّا
ماخشينا الأذى صِحاحاً ومَرْضَى
ووثبنا بكلِّ نوعٍ من الوثـ
ـبِ يُحاكي القلوبَ في الصفْوِ نبْضا!
وجَرَينا كما تطير فَراشا
تٌ خِفافاً تزورُ رَوْضاً فروضا!
تبعث الشمسُ بالأشعة تُحيـ
ـنا فنزهو بها شُروقاً وركضا!
مِنْ وُجوهٍ تلألأ البِشْرُ فيها
وتعالت عن أن تُحمِّلَ بُغْضا
وجُسومٍ تثورُ بالشوق للصحْـ
ـحةِ دَوْماً، فتنفضُ النومَ نَفْضا
وعقولٍ — وإنْ صَغُرْنَ — كبارٍ.
رفضَتْ باطلَ المظاهرِ رفْضا
خضعتْ للعلوم والمرشد الفا
ضلِ ترجي له حقوقاً تُقَضَّى

ومَضَتْ حرَّةً من الأسْرِ في العَيْ
ش سواء إنْ طالَ بَسْطًا وقَبْضَا !

* * *

مَنْ مُعِيدِي لذلك الأمسِ والدَّرْ
سِ، ويرضى النفوذَ والجاهَ أيضًا ؟!

الفقير الغني

لا تظُنَّ الفَقْرَ عارًا يُفقدُ المرءَ اعتبارًا
غير فَقْرٍ لغَنيٍّ أله العُمْرَ النُّضارًا
قدَّ من صَخْرٍ ولكنْ سوف ينهار انهيارًا
شيمةُ الدنيا قديمًا تهزمُ الباغي اقتدارًا
ورَحَاها في انتظامٍ تطحنُ الفَوْضَى مرارًا
لن ينال الخُلْدَ منها غيرُ فَضْلٍ لا يُجَارَى !

* * *

كان لي جارٌ بَخِيلٌ ساء بُخلاً « ويسارًا »
غيرَ أنَّ الموت أقصى ذكرَه حتى توارَى
وبنوه في اغترارٍ ضيَّعُوا المالَ المُعَارَا

كم تعالَوْا عن جهـادٍ فغدَوْا بَعْدُ حَيارَى
ما استطاعوا أيَّ سعيٍ ما لَقُوا إلاَّ الخَسارَا
راحَ مُشْقيهمْ أسيراً وَغَدَوْا أيضاً أسارَى!

* * *

إنّما اليُسْرُ بنَفْسٍ تعرفُ الدُّنيا اختبارَا
تطلبُ العيشَ انتهازاً تبلغُ الصِّيتَ ابتكارَا
تُكْرِمُ (الواجبَ) إكـ راماً وتُحْييهِ شعارَا
لا ترَى إلاَّ حياةَ الـ جُهْدِ والجَدْوَى فَخارَا
حَظُّها أن تَسْديَ الـ خيرَ اقتداءً لا افتخارَا
مالَها خُلْقٌ كريمٌ جَلَّ أن يَفْنَى اندثارَا
إنّما يمضي شيُوعاً في البرايا وانتشارَا
ينقلُ النُّعْمَى إليهمْ والأمانيَّ الكبارَا
هكذا يَحيا غنيّاً كلُّ مَنْ عافَ الصَّغارَا



قيمة الانسان

فما الإنسانُ إلاّ كنزَ فِكْرٍ
وليس بذُخْرِ تِبْرٍ أو لُجَيْنِ
وما الفقرُ الذَّميمُ سوى خُمُولٍ
وليس الفقرُ مِنْ عُسْرِ اليدَيْنِ !

الاصلاح الضائع

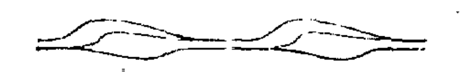
إذا أنتَ حاولتَ الصلاحَ لفاسدٍ
سقيمٍ فما يُجديه جُهْدٌ ولا حزْمُ
يعودُ لخُسْرٍ بعد جُهْدٍ أضعتَه
كما يُخذَلُ الآسي اذا عَنِتَ العَظْمُ[1] !



(١) عنت العظم : انكسر بعد جبر . والآسي : المداوي .

دنيا التسابق

كمْ مِنْ نؤومٍ حاسبٍ خَطأً
سيْرَ الحُظُوظِ كخَبْطِ عشواء (١)
وهي (٢) التي تقْديرُها مثَلٌ
مِنْ دِقَّةٍ ، لا حُكْمُ أهواء
لا تعرفُ المغلوبَ في جَزَعٍ
كلاَّ ولا المتثاقلَ (٣) النَّائي
لو كانت الدنيا لمنْ جَبُنُوا
لم تبقَ مَيْدَاناً لأحياء !



(١) النؤوم : الكثير النوم . والعشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها .
(٢) أي الحظوظ . (٣) المتثاقل : المتباطيء المتهامل .

الواجب

بالأمسِ كنتُ أسيرُ في الحقلِ النَّدي
والفجرُ مُبتسمٌ لفرطِ تودُّدِي
والجدولُ الجاري يرتِّلُ شِعرَهُ
ويزفُّ ترحيبَ (الطبيعةِ) للصَّدِي
فنظرتُ ثم قطفتُ ثم شممتُ ما
أعززتُ من نُخَبِ الأزاهرِ في يدي
وطفقتُ أنهلُ من نسيمٍ منعشٍ
طَرَبًا، وأنعمُ مِنْ جمالٍ مفْرَدِ
وشعرتُ أنّي في الزَّمانِ أميرُهُ
أمشي على بُسُطِ العُلى والسُّؤددِ!
ويحوطني جُنْدُ النَّباتِ، وإنَّه
متفرِّدٌ بجلالهِ المتعدِّدِ!
ويهزُّني قلق (الهَزار) بأنَّةٍ
مِنه كبَثِّ الصَّالحِ المتعبِّدِ!

فمضيتُ مأسوراً بكلِّ جوارحي
في معرضِ الحُسْنِ الشهيِّ الأوحدِ
هو معبَدٌ لله ليس يحدُّهُ
حدٌّ ، ويعرفُهُ ضميرُ المهتدي !

°°°

وطويتُ في السيرِ الخفيِّ فراسخاً
والشمسُ تصحبني كخلٍّ مُرْشِدِ
لا الجهدُ يعييني ولا أنا عالِمٌ
بالجهدِ ، بل أمضي بغيرِ ترددِ !
وكأنني قطعتُ كلَّ ملاحةٍ
إلاّ ملاحتَهُ ، وسِرتُ لموعدِ !
حتى أتيتُ الشاطىءَ النهرِ الذي
حُرِسَتْ مقاطعُهُ بألفِ مُجَنَّدِ
فرأيتُ شيخاً راقداً في ضجعةٍ
الموت أقرب من سُكون موسَّدِ
لكنهُ ما انفكَّ ينظرُ ، طالباً
للغَوْثِ ، شطرَ الصاحبِ[1] المتمرّدِ

(١) اشارة الى فيضان النهر .

الموتُ أدركهُ ولكنْ لم ينلْ

من نفسِهِ رُوحَ اليقينِ السيّدِ

يخشى انفجارَ الماء ، لا يخشى الردى ...

ويُعَدُّ بين تألّمٍ وتنهّدِ

وهناكَ في الكوخِ الحقيرِ صِغارُهُ

كلٌّ يراقبُ عودَهُ كمعيّدِ

فذا به لفظَ الحياةَ ولم يزلْ

يُوحي بأصبعِهِ لمَوْنِ تعهّدِي !

فحزنتُ من مَضَضِ الحياةِ وطبْعِها

بتحوّلٍ وتقلّبٍ وتبدّدِ

قد كنتُ في طربِ القريرِ لساعةٍ

ولّتْ فصرتُ بِشَجْوِ آسٍ مُوجَدِ[1]

وأردتُ معرفةَ الشهيدِ فلم أجدْ

ما أستعين به ، ولا من مُنْجِدِ

حتى لمحتُ بوجهِهِ وبحالِهِ

(**الواجبَ الأسمى**) يُضيءُ لمقتدي !

---

(١) آس: حزين ، من أسي يأسى . وموجد : مكره مضطر .

* * *

مَنْ ماتَ وهوَ شهيدُ واجبِهِ فما
يحتاجُ للنَّاعي ولا لِلْمُخَلِّدِ!

الماضي

لاتنْسَ أنكَ مِنْ غراسِ الماضي
فتملَّ (١) صورةَ وَحْيِهِ الفيَّاضِ
وتحلَّ بالباقي الوفاء لفضله
هيهاتَ تكرُمُ عنه بالإعراضِ
لولا الاساسُ لما أُنيلَ شموخَهُ
عالٍ، ولا غلبَ الاسنَّةَ ماض! (٢)
وأنا المجدّدُ، إن فحصتَ مقالتي
لم تلقَ لي المدفونَ من أغراضِ
لكنْ لمحتَ توسُّطًا وعدالةً
وَهوىً تجوَّل في أحبِّ رياضِ
ظَلَمْتَ اذا أنت اتَّهمتَ عقيدتي
فعقيدتي الآني ووحيُ الماضي

---

(١) فاستمتع منها. (٢) الماضي: السيف القاطع، وجمعه المواضي.

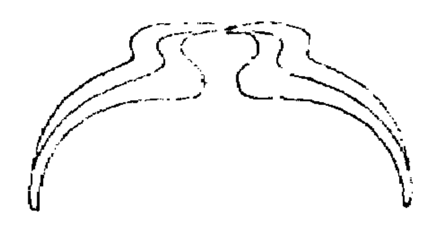
ما كان بينهما خصام ، بل أرى
في الحق بينهما وفيّ تراضِ
مَنْ ذمّ ماضيَه الكريمَ تعنّتاً
فهو العثور بثوبه الفضفاضِ
ومِنْ الرجاحة أن نعيش لمقبلٍ
ومن الكرامة حرْمة الأعراضِ
والشعب في تاريخه مرآته
مَنْ كان يغفلها فليس بقاضِ !

حكم الدستور

ما كان حُكْمُ الفردِ مَظْهَرَ قُوَّةٍ
بل كان مَظْهَرَ أيّ رأيٍ أحمقِ
فالناسُ ما بلغوا الحضارةَ بالهوى
بل بالتّشاور والحِجَى والمنطقِ
والحكمُ بالدُّستور مهما عِبْتَهُ
أجدى وأشرفُ مِنْ صلاحِ المُطْلَقِ

الآمال القومية

إنَّ العظيمَ هو العظيمُ بنفسه
في حالَيْ الإدبارِ والإقبالِ
ومِنْ المصائبِ للشعُوبِ مفَاخِرٌ
وغذاءُ نهضتِها على الأجيالِ
ما مات شعْبٌ سطَّرتْ تاريخَه
مُثُلُ الإباءِ وسيرةُ الأبطالِ
والنَّاسُ ليسوا في عديدِ جسومِهم
لكنْ بأحلامٍ بقينَ غوالِ
هي للتتابعِ والتَّناسُخِ كلَّما
أفْنَى الزمانُ لها القديمَ البالي



مصاعب الحياة ونعمتها

وإذا تأمّلتَ المصاعبَ لم تَبِنْ[1]
إلاّ حِسَانَ الوَعْظِ والإحسانِ
وإذا نظرتَ الى الحياةِ وجدتَها
ما أنتَ ، لاقَدَراً من الحَدَثَانِ
هي ما غَرَسْتَ بشوكِها وبزهرِها
فانْزِعْ عن الأشواكِ للرَّيحانِ
كم مِنْ جمالٍ رائعٍ ، كم نعمةٍ
فيها ، فكيف تُساقُ للأحزانِ ؟!
شأنُ الحيـاةِ تحوُّلٌ وتجدُّدٌ
يتلو القديمَ بهـا الجديدُ الباني
فاصبرْ على عُسْرِ التنقُّلِ واعتقدْ
أنَّ الحياةَ حليفةُ الدَّوَرانِ



(١) لم تبن : لم تظهر .

اللغة الوطنية

أيا دارَ مَنْ سادُوا وشادُوا خُلُودَهم [1]

على العِلْمِ صوني العِلْمَ أرقى مزيَّةِ

هو الأُسُّ للباني ، هو السيفُ في الوغى

هو الخِلُّ للعاني ، وأكرمُ حليةِ

لسانُكِ [2] ديوانٌ لكلِّ سَنِيَّةٍ

من الأدبِ الغالي وكلِّ زكيَّةِ

ومَجْمَعُ تمدينٍ ومجدٍ مؤثَّلٍ

وعِلْمٍ وأخلاقٍ حِسانٍ رَضِيَّةِ

وفنٍّ جميلٍ يملأُ الكونَ نورُهُ

ثمينٌ بآياتٍ له علويّةِ

تَشِعُّ به أبقى القُرُونِ التي خلتْ

وقد سُبِقَتْ بالظُّلْمَةِ الهمجيّةِ

وتذكرُهُ الأمصارُ بالفتْحِ والغِنَى

من (الحَرَمِ الأقصى) الى (البندقيةِ)

(١) الخطاب موجه الى مصر . (٢) أي اللسان العربي .

تداعتْ به أركانُ كُلِّ جهـالةٍ

وقامتْ عليـهِ دولةُ العبقريةِ

يُـكرِّمهُ الأعْلامُ مِنْ كُلِّ أمةٍ

وإنْ لم ينَلْ ودَّ العقولِ الغبيةِ

* * *

وفي لغتي يومي وماضي عشيرتي

ومَظْهرُها الباقي وراءَ منيتي !

وفيها من الآمالِ كلُّ مقدَّس

ومن نُخَبِ العرفانِ كلُّ صفيةِ

إذا عدَّتْ الأسبابُ للبأسِ لم تكنْ

بآخرِها شـأناً ، وللمـدنيةِ

مصر الجميلة

يا جنةَ الدنيا وموئلَ حُسنها

عاش الجمالُ الحرُّ في واديكِ !

الـكون يستجدي وأنتِ سخيةٌ

مَنْ ذا الذي بتمنُّعٍ يرميكِ ؟

أين الزّمانُ السمحُ في إينا سِهِ

رغمَ الأسى الآ لدى أهليكِ ؟

أين الطبيعةَ جودُها بكنوزها

يحكي الذي وفّيتِ حين تَفيك ؟

أين الخلودُ كخُلدِ من قدّستِهِ

وحبورِتهِ الايثارَ في ناديكِ ؟

أين اللآلئُ غيرُ ما نَثرتْ على

ناديكِ أو واديكِ أوشاطيكِ ؟ !

أين العجائبُ مثل ماحملته

للدّهرِ بانيةً كما يبنيكِ ؟ !

الفجر

بكّرْ معي للفجرِ قبل أذانهِ

نقِمْ الصلاةَ لروعةٍ من شانهِ

غلبَ السكونُ هدّى عليه كأنما

في الوعظ يُفصحُ مُنتَهى كتمانهِ !

وكأنَّ فهمَ الغيبِ رهنُ سكونِهِ

وكأنَّ أصلَ الغيبِ في أكنانِهِ !

قُمْ حَيِّهِ قبلَ الفواتِ وإنْ يَعدْ

أضعافَ هذا الجودِ من أخدانِهِ

هذا النهارُ رأى الدُّجى فتصارعا

وتكفَّلَ العاني [1] بدفعِ رهانِهِ !

أُنظرْ الى الدُّرِّ الدقيقِ من النَّدى

سِتْراً توارى التبرُ خلفَ حِسانِهِ !

أُنظرْ الى الكونِ المحلَّلِ نهبُهُ

هذي الحُليّ تَبُثُّ في اردانِهِ !

أُنظرْ تغزُّلَ مائِهِ ونباتِهِ

وهوائِهِ يضحكن من انسانِهِ !

يهتزُّ حتى الصخرُ من طَرَبٍ لها

ويجنُّ حتى الطَّيرُ في ألحانِهِ !

أُنظرْ فما هي غيرُ غفلةِ حارسٍ

حتى يهمَّ الصبحُ في ركبانِهِ !

ركبوا الاثيرَ من السنين الوفَها

وجميعُهمْ للدّهرِ من ولدانِهِ !

(١) اي النهار .

عابد الريف

أرنو اليه موحداً متعبداً
بعد الغروبِ بوجهه الوضاءِ
فيهزني منه سموُّ شعورِهِ
ومن السموِّ تعبدُ الحكماءِ
الفيلسوفُ طهارةً وبساطةً (١)
والمستعزُّ بهمةٍ ووفاءِ
يختار أروعَ بقعةٍ لصلاتِهِ
وكأنما ناجى الجمالَ ازائي !
فترى (الطبيعةَ) في سكونِ جلالِهِ
وحنانِ ذي كرمٍ وسمْعِ نداءِ
فيرتلُ الآياتِ — بين صوادحٍ
فوق الغصونِ — على خريرِ الماءِ !
وترى الجداولَ في دموعِ وداعِها
للنور بين غلائلِ الظلماءِ

(١) البساطة : التجرد *Simplicity* .

حسرى على وَقْف الحياةِ الى غدٍ

فصلاتُها عطفٌ على الأحياءِ !

في كلّ ساكنةٍ وكلّ نزوعةٍ

مِلْءُ النواظرِ عِبْرةٌ للرائي

دلَّتْ على معنى الوجودِ لمُبْصِرٍ

فكفته صفوَ خواطرِ الشعراءِ

أيلامُ مَنْ تخذ الجمالَ رسوله

لِلهِ ...؟ إنَّ الى الجمالِ دعائي ...

أدواء الانام

الأصلُ في الدُّنيا : الحقوقُ مُشاعةٌ

فمن الوفاءِ البِرُّ بالقسطاسِ

ومن الكرامةِ أن نصونَ فقيرَنا

فلكم فقيرٍ مثمرُ الاحساسِ

وأعزُّ سيدةِ الشعوبِ أبرُّها

بالنَّفسِ قبلَ المالِ والأحراسِ

ولعلَّ أدواءَ الأنامِ جميعها
للفقرِ، ثم الجهلِ، ثم اليأسِ!

الكتاب

يُقَصِّرُ في ثنائكَ يا كتابي
وفائي الجمَّ أو طولُ أصطحابي
فكمْ عوَّضتني خِلاً كريماً
اذا عزَّ الكِرامُ من الصِّحابِ!
وما فَضْلي سوى حُسْنِ اختيارٍ
واقصائي القشورَ عن اللُّبابِ
وأنتَ بمَسْحَةٍ لكَ من جمالٍ
تجاذبُ نزعتي خيرَ اجتذابِ
فأنتَ الحُسْنُ السبَّاقُ أصلاً
وداعي العَقْلِ للطُّرَفِ العِذابِ
ومُتْبِعُ دعوةٍ بجزيلِ برٍّ
تنوَّعَ في المآثرِ والطِّلابِ

ومِنْ عَجَبٍ اذا ما رُمْتَ سؤلاً

وليس لديكَ لم تنهرْ شبابي [1]

وكنتَ مُنيبَ خِلّكَ [2] في حديثٍ

كما أهوى يُضاعفُ مِنْ صوابي

فللتاريخِ حيناً ، ثم حيناً

لآياتِ الفنونِ بكلّ بابٍ

وللآدابِ آونةً وطَوْراً

لأزهارِ العلوم وللسَّحابِ !

* * *

فيا أبنَ الفكرِ والقلمِ المُعلَّى

بما يُعطي العقولَ بلا حسابٍ

ضمنتَ لسيرةِ الانسانِ خُلْداً

وعِشْتَ له عَزاءً في التُّرابِ !

(١) اشارة الى تهافت الشباب وقلة صبره .

(٢) اشارة الى تبديل المطالعة من كتاب بآخر .

لذة الصعاب

كم لذَّةٍ في صِعابٍ ذقتُها ثقةً
بالنَّفسِ والجُهْدِ والتفكيرِ في الآني
مِثْلَ الطَّبيبِ: عَياءُ الداءِ يُفرِحُهُ
في موقفِ العالِمِ الفَنِّيِّ لا العاني!
لا تجزعنَّ لاهوالٍ حُفِفْتَ بها
كلُّ المخاطرِ في الدنيا لميقاتِ!
وادأبْ بجرأةِ ذي عقلٍ وتجربةٍ
يمشي مع الفكرِ لا يجري وعاداتِ
الوَهْمُ سُلِّطَ في الدنيا فسخَّرها
والراضخون له في حكمِ أمواتِ
مُملَّكٌ فاتحٌ والجهلُ عسكرُهُ
والجبنُ عَوْنٌ له عند الملمَّاتِ
له عُرُوشٌ على الدُّنيا بأجمعها
وقُوَّةٌ فوق أقيالٍ ودُولاتِ

وهو الضعيفُ الذليلُ المرتمي جزعاً
شطرَ النُّهى والعقولِ المستحثاتِ
يهوي صريعاً أمام العلم مختبطاً
في حمأة الذنبِ مقتولاً بآفاتِ(١)
فإنْ يكنْ شأنهُ هذا ورتبته
فكيف ننصرهُ في طولِ أوقاتِ ؟!
وكيف نرضى إساراً من تحكّمهِ ؟!
وكيف ننشدُ منه وهْمَ لذاتِ ؟!
لو حارب الناسُ داء الوهم ما جزعوا
عند الخطوب ولا خوف الصعوباتِ !

أبناء النيل — الفلاحون

همْ زينُ تُربتِه وحِلْيةُ مائهِ
وفخارُ ما أنْمى شعاعُ سمائهِ !
رفعوا على اكتافهم تاريخَنا
مِنْ عهدِ (فرعونٍ) لغاصبِ مائهِ !
الأرضُ ينطقُ حرثُها بنشيدهم
والقطنُ يبسم حولَهم لجَنائهِ !

(١) في حمأة الذنب : في سواد جريرته .

وَلَكُمْ تَرَى أَثراً يعيشُ بِقُربِهِمْ
غضاً فلا يَعزو(١) الى بُنَاتِهِ !
هُمْ نَسْلُ مَنْ شادوا الحضارةَ دولةً
والفاتحون المُلْكَ في استعلائه
إنْ يُتْرَكوا في الجهلِ رغم تراثِهم
فلسوف يأتي الصُّبحُ بعد مسائه
وينالُ منهم كُلُّ فَرْدٍ حقَّه
بالعلمِ ، فهو السيفُ عند مَضائِهِ !

ما الدنيا بأقوال

فياسُلاَلةَ مجْدِ العُرْبِ لاتقِفوا
عند الفخارِ ، فما الدنيا بأقوالِ !
وأنصِفُوا ذلك الماضي بحاضرِكُمْ
ليومِكُمْ وغدٍ ، لا بالهوى البالي
وإنْ نظرتم الى الاطلالِ في ألمٍ
فراقبوا أهلَها في أسْرِ أغلالِ

(١) فلا يحِنُّ .

فهمْ هُمُ الطَّلَلُ البالي اذا قنعوا

ولن يعيشوا كما عاشت لاقبالِ !

ذِكْرُ الجُدودِ جميلٌ في عواطفهِ

لا غايةً لِمُباهاةٍ وإدْلالِ

فانّما الفخرُ في سَعْيٍ بلا مَلَلٍ

فلا تكونوا كنهْرٍ غيرِ سلسالِ

وابْنُوا كما بَنَتْ (الزهراءُ) عن عِظَمِ

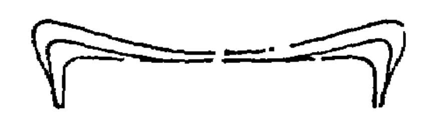
وحاذروا جُهْدَكمْ من طبِّ دجّالِ

تحيا الشّعوبُ اذا أخلاقُها سلمتْ

ولم تخفْ حَمْلَ أعباءٍ وأثقالِ

ويُكْرَمُ المرءُ إنْ غالى بتضحيةٍ

ولم يكنْ في مجالِ الصّدقِ بالغالي



الروح الفني

أنا الصغيرُ ولكنْ   أنا الكبيرُ بفنّي !
وليس غيرَ افتتاني   بكل حُسنٍ أغَنّ(1)
ملءَ الطبيعة يَسْبِي   فِكري ويملأ عيْني
غيْري تمنّى طويلاً   وليس طبْعي التمنّي
بل أن أفتّش حوْلي   عن سِحْرِ جنّاتِ عدْنِ !
كم مِنْ جَمالٍ شهيٍّ   يهفو لمن كان يجْني
في النور في الروض يُلْفى   في كلّ معشوقِ لحْنِ
أرى الحقيقةَ فيه   تبْدو بلوْنٍ ولوْنِ
رأتْ فؤاديَ حرّاً   فلم تمِلْ للتجنّي
وما أبتْ لي جواباً   وما اختفتْ قطُّ عنّي !
كأنّما صِرْتُ وحدي   سلطانَ نفسي وكوْني !
أسيرُ حُرًّا طليقاً   ما بين حُسْنٍ وحُسْنِ
أسائل الطيرَ حتى   يشنّفُ الطيرُ أذْني
ولا أخاف قيوداً   ولا وساوسَ دَجْنِ(2)

---

(1) أغن : ناضر بهج . (2) الدجن : الظلمة .

ولا أسيرُ ضريراً ولا أعاقُ التغنّي
غذاء نفسي المرائي الموحياتُ لذهني
الرافعاتُ خيالي الناهضاتُ بسنّي
الضامناتُ حُبوري الذاهباتُ بحزني
المنعشاتُ لبحثٍ بين الوجودِ وبيني !

***

أنا الصغيرُ ولكنْ أنا الكبيرُ بفنّي !

المعروف

ساد الذين بطبعهم جُهَراءُ للمعروفِ [1]
وهَوى الذين تخبَّطوا في الضُّرّ كالمكفوفِ
والمرءُ نشرُ صلاحِهِ ثمرُ الهُدى المقطوفِ
والبُخْلُ فقرٌ في غِنى كالبَدْرِ عند خُسوفِ
والطَّيرُ قَبْضُ جناحِهِ يُلقيه بين حُتوفِ [2]

(١) جهراء للمعروف : خلفاء له ـ (اللسان) . والمعروف بمعنى الخير والاحسان . والمكفوف : الضرير .

(٢) قبض جناحه : جمعه ـ (اللسان) .

دُنيا الحقيقة حالُنا فيها كحالِ ضُيوفِ
ما الذكرُ غيرَ جهادِنا ليس اكتنازَ ألوفِ
ما الفضلُ غيرَ تعاونٍ لمآثرِ المعروفِ

حسن الطبيعة

لو يعرفُ المرءُ الحيا ةَ لما غدا وهو الغريمْ
وتذاقَ طعمَ الخُلدِ في الدُّ نيا وما خافَ الجحيمْ
حُسْنُ الطبيعةِ دولةٌ غَنَّتْ بأنواعِ النَّظيمْ
إنْ لم تنَلْ عِشْقَ الغبيِّ فحسْبُها العقلُ السليمْ!

دولة المرأة

المُلْكُ شَطْرانِ: شَطْرٌ للرجالِ به شأنٌ، وشَطْرٌ له ربَّاتُ أحْجَالِ
وللنساءِ حُقوقٌ إنْ مضتْ وغدَتْ وَهْماً فكُلُّ جلالٍ بعدها بالِ
وانما المرأةُ الدُّنيا بما جمَعتْ اذا تربَّتْ وصانَتْ حُسْنَها الغالي

العمل والتقدير

بَرِّزْ بِجُهْدِكَ أَنَّ عَقْ ... لَكَ كان أهلاً للوُجُودْ !
واعْلَمْ بأَنَّ الواجبَ ال ... أَسْمَى التشبُّثُ بالعُهُودْ
والنفسُ يَجْزيها اليقِيـ ... نُ ، فانَّهُ أصلُ الخُلُودْ
والنفسُ يُشقيها التطلُّ ... لُعُ للجزاءِ بلا جُهودْ
عِشْ مُغْرَمًا (بالواجب) ال ... مَنْشُودِ منك بلا حُدُودْ
فهو الكفيلُ بحقِّكَ ال ... باقي على رَغْمِ الحَسُودْ
مهما يَطُلْ عهدُ التأمْـ ... مُلِ سوف تلقاكَ الوُعُودْ
هيهات يُنْسَى العاملو ... ن وانْ هُمُو سكنوا اللُّحودْ!
والنجمُ قبلَ ظُهورِهِ ... بعث الاشعَّةَ كالوفودْ !
سفَرَتْ[1] الينا منذ آ ... لافِ السنين بل الأُبودْ[2]
فابعثْ أشعَّةَ عقلِكَ ال ... وضَّاءَ نفعًا للوُجُودْ !

(١) أي خرجت للسفر .
(٢) الأُبود : الدهور .

قصر الجزيرة

يا (قَصْرُ) مَنْ أفنى اعتدادَكْ ؟ مَنْ ألبس الذِّكرى حِدادَكْ ؟
مَنْ أسكن[1] الحسنَ الذي قد كُنتَ تُسكِنُهُ فؤادَكْ ؟
يا رَوْض هل مِنْ نِعْمَةٍ عاشتْ تَخُصُّ بها ودادَكْ ؟
يانورُ إن كنتَ الأصيـ ـلَ المُسْتَعِزَّ فمن أعادَكْ ؟

* * *

وَلّى (الأميرُ) فعشتَ يا (قَصْرُ) اليتيمَ ، فمن أفادَكْ ؟
النُّورُ فيكَ كَبَسْمَةِ الـ ـمعاني إذا افتقد افتقادَكْ
يُخفي بها أشجانه الـ ـعُظْمَى كما تُخفي مُرادَكْ
قد كنتَ مأوًى للمـلا حَةِ قبل أن ترضَى انفرادَكْ
قد كنتَ نَبْعاً للمآ ثرِ مُنعشاً منها بلادَكْ
فَرْضٌ على أهل البـلا دِ رعايةٌ تَنْفِي سُهادَكْ
وتجِلَّةُ التقديرِ للـ ـبطَلِ الذي كان اعتضادَكْ[2]
مَنْ كان (اسماعيلُ) بَهْـ ـجَتَهُ عذرتُ له حِدادَكْ !

(١) جعله مسكينا . (٢) الاعتضاد : القوة .

آثار الفراعنة

أشرقت ناطقة الفخا ... ر عن الجلال الأول
وخطبت آلاف السنيـ ... ن لباحث ولمجتلي
وظللت في الاعزاز أشـ ... بـه بالجواهر والحلي
ولربما قدست تقـ ... ديس النبي المرسل !
يتسابق المتطلعو ... ن اليك دون تمهل
من كل مملكة تجل الفـ ... ن والمجد العلي
وترى تلك الاطلال أو ... خم من قصور تعتلي !
تتأمل الدنيا ، وحسـ ... بك نعمة المتأمل !
وبنوك أولى باد كا ... رك في خشوع أمثل (١)
فيك العزيمة والمها ... رة والجدارة للخلي (٢)
فيك المواهب مرشدا ... ت كالنجوم لمن يلي
فيك البقايا من أنا ... شيد العلى بالهيكل !
فيك الكمال مسائل ... يدعو الفخر أكمل
فلديك يستوحي البنو ... ن الملك للمستقبل !

(١) أمثل : أفضل . (٢) المفتقر اليها الخالي منها .

السعادة

أمّا (السعادة) عندي فلذّةٌ مستعاده
قالوا (القناعة) منها وإنّ منها (السيادة)
وقد أصابوا، ولكنْ لها دواعٍ وقاده
العاملون لخيرٍ المبتغون الإجاده
القانعون بعيشٍ للنفع لا للبلاده
الرّاضخون لحقٍّ عن راحةٍ مستفاده
يبنون لا لقصد زهوٍ ولا لأجل الإشاده
لكنْ وُعوا بخيرٍ فالخير أصلُ السعاده

سفراء العقل

متّع حواسك بالحياة فإنها
سفراءُ عقلِك للوجودِ وما بهِ
ليس التدبُّرُ والروية والحجى
إلاّ نتائجَ دأبِها لا دأبِهِ



شذور

١

ومن النفوس حرائرٌ وثوائرٌ ... ومن النفوس إسارُها الجلبابُ

والناسُ منهم في سجون جسومهم ... بينا يُقلُّ النابهين سحابُ

٢

ما الجنسُ للنفس فخاراً لها ... إنْ فاتَها الجِدُّ وضاع الأدبْ

وربما كان النساءُ العُلى ... ورُبما كان الرّجالُ الذَّنَبْ !

٣

اليومَ قَدْرُ الناس قَدْرُ كفاية ... واليومَ لن يطأ الزمانُ عبيدَا

٤

البيتُ مدرسةُ الحياةِ وأصلُها ... يُنمي جَمالاً أو يصوغ رجالاَ

فإذا تعثَّر بالجهالةِ أهلُهُ ... هيهات أن يُعطي سواه كلالاَ

٥

المرءُ في القوَّةِ من عقلِهِ
إنْ خاصمَ الحكمةَ لاقى الرَّغامْ
والشهوةُ الموتُ لعُشَّاقِها
لكنّه موتُ الخطوبِ الجسامْ

٦

وثقْ بأنَّ حياةَ المجدِ في تَعبٍ   وغايةُ الحظِّ والتوفيقِ للساري

٧

والعُمْرُ أقصرُ من مجالِ تنابُذٍ   ومن المحبّةِ فجرُ كلِّ شُعاعِ

٨

اقبلْ عزائي إن رشدْ   تَ ولا تُضاعفْ مِن عذابكْ
واضحكْ على نُوَبِ الحيا   ةِ فربَّ خيرٍ في مصابكْ

٩

وما الفكرُ الاَّ الجوهرُ الفردُ إنه
على كلِّ آمالِ الوجودِ رقيبُ
وهيهاتَ أن يُرْنى ولو ظُنَّ ميتًا
فكم في جمُودٍ مُوجِدٌ وخصيبُ !

١٠

كذا الدنيا تضيء بها الأماني   فانْ غابت فلا نُورٌ لحيٍّ

١١

الموتُ من صُوَرِ الحياة وإنّما   في الناسِ مَن لا يفهمُ التحويلاَ !

١٢

الحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى
عن نَصْرِهِ المتهالكُ المِقْدامُ
والشعبُ إنْ جَهِلَ الحياةَ وقدرَها
هيهات يُنصفُ حظَّه الحُكّامُ
واذا تمكّنَ في مقامِ تعارُنٍ
فعلى الكرامةِ والحقوقِ سَلامُ!

١٣

اذا حرّيةُ الناس اضمحلّتْ فقد ولّى لهم أقوى عمادِ
ولم أرَ امةً وأتْ سواها مرافقَها فكانت للسدادِ

١٤

المجدُ للأجداد باعثُ مجدِنا
والصيتُ في المجدِ المجدَّدِ صيتُهُ
والشعبُ إنْ لم يحتفظْ بتراثِه
ويَزِدْهُ سعياً فالتهاونُ موتُهُ !

١٥

انَّ الحكيمَ هو المحقّق والذي عدَّ الخصيمَ اذا أفاد صديقاً

١٦

ماليس يُثبِتُه الدليلُ فماله قَدْرٌ ، وما يسمو اليه يقينُ
الجهلُ أولَى بالفضيلةِ ذكرُهُ من أن يُضلَّلَ بالعقولِ أمينُ!

١٧

خِصْبُ البلادِ رجالُها وما لها حُكْمُ الفضائلِ أوَّلاً وأخيرَا
مَنْ مات في تمجيدِها وفخارِها حيٌّ ، وما تركَ الجهادَ حقيرَا

١٨

خُذْ ماتشاء ودعْ لي — مُكرماً — شرفي
فضيعةُ الشرفِ الغالي من التَّلَفِ
هو الشعارُ لوجداني وعزّتِهِ
هو المثّلُ صِدْقًا مُرْتقَى شَغَفي
ولو أبيتُ فقيرَ المالِ ذا عَوَزٍ
فالفقرُ في المالِ غيرُ الفقرِ في الشَّرَفِ

١٩

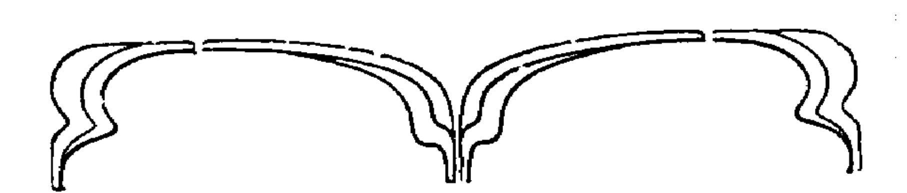
وما تسيرُ المُنَى الاَّ لِمُوجدِها ولا تَهَشُّ العُلَى للعاجزِ الناسي

٢٠

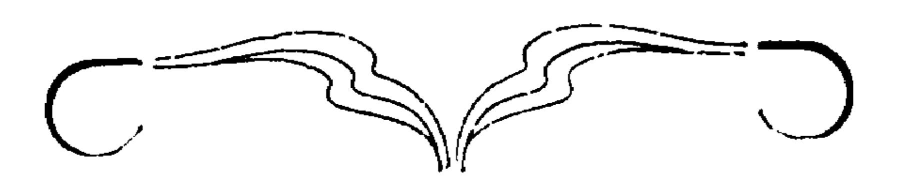
وأشرفُ بِرٍّ بِرُّ وافٍ لأهلِهِ
وأكرمُ مَشْكوري الجنودِ أخيرُ







كَلِمة خِتاميّة



شعر التهذيب

بقلم الشاعر

اذا كان لتعليقي على هذا المجموع (**المنتخب**) فائدة فانما هي محصورة في بيان رأيي في الشعر التهذيبي بما يناسب عصرنا الحاضر، لعلَّ ذلك يؤدّي الى الانتفاع بالكثير من الشعر العصري الجيد الذي لا يُعنى أصحابه بالظهور فلا ينتفع به طلبة العلم . وأمَّا عن تزكية هذا المجموع الأولي الصغير فليس قصدي طبعاً ، وان أنظر له نظرةَ الفخر ، قانعاً بنظرة الارتياح الى أداء بعض الواجب القومي الأدبي ، وكفى .

وقد جرتْ العادةُ بين المؤلفين الاوروبيين أن يختموا كتبهم الدراسية بفصول شرحية تعين المعلّم والطلبة على فهم مراميهم ، ويشجع هذا الفهمُ الطلبةَ على الائتناس بها ، والانتفاع منها ، ونقدها نقداً صحيحاً ، وهذا مرمًى آخر لهذه الكلمة الختامية .

***

كلُّ متتبع لأحوال التطوُّر العلمي والأدبي والاجتماعي يؤمن بأنَّ الحاجات والأذواق الأدبية تكاد تكون دائمةَ التحوُّل ، فما

كنا نعدُّهُ في الماضي القريب مثلاً أعلى للبيان قضتْ النهضةُ الفكريةُ الفنيّة بتغيير رأينا فيه ، ومَنْ كنّا نُسَرُّ بمنحهم ألقابَ الامارة والصدارة والوزارة الشعرية تشجيعاً لهم أو تذكيراً بمسؤولياتهم القومية أو أملاً في مجهودهم الأدبي أو مكافأة على خدماتهم السابقة أصبحنا نضنّ عليهم بمثل هذا التحبيذ لمّا رأينا من تمسكهم بالقديم وعدم مجاراة الرُّوح العصرية واكتفائهم بترديد مبادىء لا يُطبّقونها في حياتهم بل يسخرون منها جهراً في أحاديثهم ، مما جعل الأدب على أقلامهم مهزلةً بدل أن يكون حكمةً ونوراً .

وكم كان خجلي عظيماً لما سألني الشاعرُ العالمي السير رابندراناث تاجور أن اترجم له شيئاً من أحاسن الأدب العصري في عرف الجمهور المصري فقوبلتُ بابتسامته المعنوية بمجرد ابتدائي ببيت شوقي بك :

وانّما الاممُ الاخلاقُ ما بقيتْ

فانْ هُمُو ذهبتْ أخلاقهم ذَهَبوا

حتى اضطُررْتُ الى تحويل مجرى الحديث ولُذْتُ بذكرى أبي العلاء المعرّي وفلسفته ! ولا أدري بماذا كانت تتكيف ابتسامتهُ أو نظرتهُ لو أني ترجمتُ له نظماً من النوع القديم لمن هم دون شوقي بك منزلةً من شعرائنا الذين رفضوا السيرَ معنا في

طريق التطوُّر والتجديد، وآثروا البقاء في ظلّ إمارته الشعرية عليهم بينما روح العصر تتقدم وثوباً من عام الى عام وتطالب بالابتداع والسمو في الفكر والنزوع الى المَثَل الأعلى، وترك الولوع بالألقاب الجوفاء في عصر «الجمهورية الأدبية» التي ترفض المبايعة الدائمة، ولا تتحول عن استعراض أعمال الرجال من آنٍ لآنٍ ثم تجديد الحكم لهم أو عليهم.

ذلك الضَّرْبُ من النَّظم الخبري — مهما كان مبلَغُ إجلالنا السابق له — أصبح لا يُعد المثلَ الكامل للشعر العصريّ، لأنَّ تعريفنا للشّعر قد تبدَّل تبدُّلاً سريعاً، فاننا لا نفهم من الشعر أنَّه نور الحكمة والمعاني فقط، بل الوحي الاسمى الجميل الذي تحفُّ به علومٌ وفنونٌ وجواهر معنوية وينقلك بتصويره أو بتأثيره المعنوي أو بكليهما الى مجالٍ شائق من الفكر الفلسفي الذي يملؤك سعادةً ونعمةً ويُطلعك على شيء من سرّ الحياة.

واذا كان ذلك كذلك فليدركْ القاري، حيرتي أمام قول الصديق حافظ بك ابراهيم - وهو ناظم «زلزال مسّينا» وأشباهها من شعرٍ حقٍّ طريف جليل الأثر - ان العبرة في الشعر بحسن الديباجة لان المعاني فى أفواه العامة ! ... انه بمثل هذه العقيدة يُفسد قدرته على الابتداع الشعري الثمين ويرجع بنا الى الوراء عن غير قصد!

إن المعاني كما تعلم يا حافظ الادب ليست وحدها الشعر ، بل روح الشعر ما وراء تلك المعاني من بصيرة نافذة الى أسرار الحقائق وعلاقاتها وتطبيقها وجمالها الروحي ، فتغني الكلمة من وحيها عن عبارة طويلة ، وتلهم الوجدان لذة وتصوراً لا يستطيع أي تعبير أن يكنه ولا أن يهديه لألبابنا المتعطشة .

بيد أن المعاني ليست حقيقة في أفواه العامة بل الغالب أن الجهل هو الذي في أفواههم ، وانما الروح الشعرية شائعة في الانسانية على درجات متفاوتة ، وقد ينشأ الشاعر العامي الذي ينظم المواويل والازجال أو الذي لا يعرف النظم فيقوم قوله الحسي وخياله مقام الشعر المنثور ، وتردد خواطره طبقة أقرانه ، فيقال حينئذ خطأ إن المعاني في أفواه العامة جملة . . . وليس هذا القول مما يثبت أن المعنى أوالخيال الشعري شيء مبتذل أو عرض ، وانما الألفاظ المرصوفة هي الجوهر الثمين المنشود ! كلا وألف مرة كلا ! انما يدل كل ذلك على أن الشعر ريحانة النفوس على اختلاف الطبقات ، وان الطبيعة لم تجرد بيئة ما من الشاعر الرسول الذي يهبها العزاء والتشجيع والحبور .

كان الشعر يعد وليد الموسيقى والرقص في أزمنة قديمة الى أن شب وتطور واستقل ، فأنتج أقساماً وأنواعاً مختلفة ، وصار

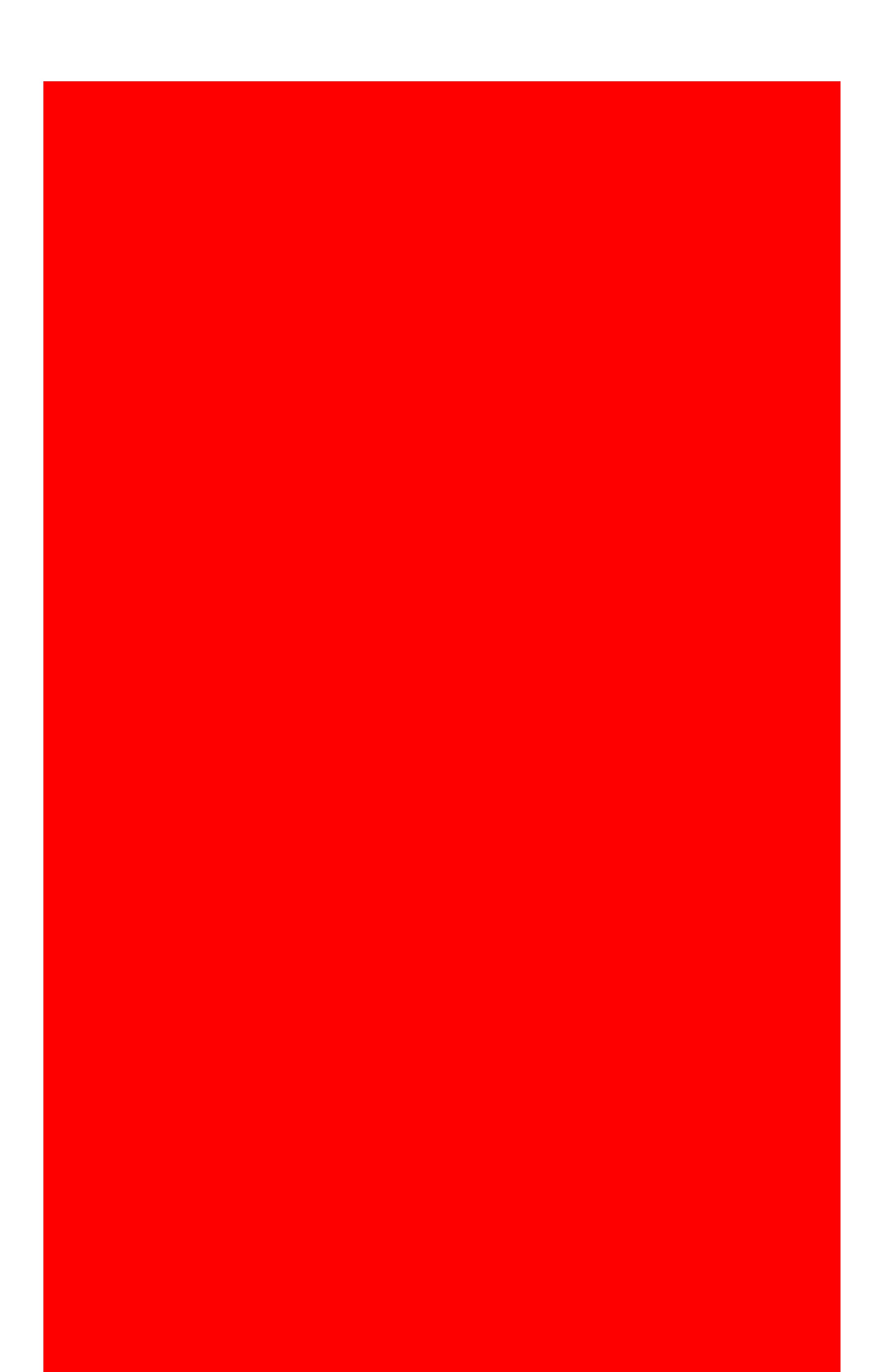
دولةً قائمةً بذاتها وان كانت ومَنشؤها متحابتين ، بَيْدَ أنَّ هذا التآلفَ لا يبرّرُ مطلقاً أنْ نعتبر روحَ الشعر جرَساً موسيقياً ، وأن نجرأ على التصريح بأنَّ الديباجة هي غاية مانطمح اليه لتجميل الشعر « لأنَّ المعاني في أفواه العامة » . . . فان هذا المبدأ الغريبَ يكاد يرجع بنا الى حفلات العجـل الذهبي (آبيس) ، ويُنسينا أمر هوميروس و « الياذته » و « اوديسته » وفرجيل و « اينيادته » ، ودانتي و « مهزلته المقدسة » ، وبترارك وملحمته « أفريقا » ، ثم أمثال شكسبير وملتن ودرايتون وكامبل وشلي وبيرون وغيرهم من الشعراء الغربيين الذين لم يدعوا شيئاً من مُثُل الحياة الاّ وصوّروه تصويراً ناطقاً وصفاً وتمثيلاً في أناشـيدهم وقصصهم ؛ ناهيك بأمثال جيتي وشـيلر وكورني وراسين وموليير وغيرهم الذين نبغوا في التفنن المسرحي ، فكان من آثار جميع أولئك الشعراء الفطاحل ظهور المآسي والاوبرات والهزليات وغيرها من بدائع الفنّ الشعري التمثيلي ، فهل من الـكرامة القومية أن نقابل هذا المجهودَ العظيمَ في الغرب بالاصغار من قدره والتكاسل ، وبحصر قيمة ما نسميه شعراً عندنا في الديباجة محتجين « بأنَّ المعاني في أفواه العامة » ؟ !

لقد تبرّأ الشعرُ من قرابة النظم المقفّى منذ أجيال وانْ كان لا يزال يقبل صحبتَه في حدود ، وأصبحنا في هـذا العصر لا نقنع

بالمعاني الجميلة وانما نطالب بالابتداع في الموضوع والاسلوب، ونلحُّ في ظهور « شخصية » الشاعر في شعره . فهل يجوز لشاعر عظيم بيننا أن يقوم مبشراً في هـذا الوقت بالديباجة العـربية الأصلية وينعتها بأنها روح الشعر ورونقه ؟ !

عَرف الانجليزُ الشاعر روبرت هِرِّق (Robert Herrick) متحذلقاً في الصياغة اللفظية ولكنه كان غالباً بليد الذهن ، ضعيف الخيال ، وعرفوا عن شاعرهم الكبير بوب (Pope) القدرة على تصوير بيئته فقط دون القدرة على الابتداع الفنّي الكبير ، فلم يشفع للأول رصفه الالفاظ في تخليد الاعجاب به ، ولم تشفع للثاني صلته بالعرش والارستقراطية ـ تلك الصلة التي كانت في ذلك العهد تحاكي صلة كبار شعراء العرب بالخلفاء ـ بينما بقيت للمتون شهرته الذائعة الصيت ، وهو هو صاحب «الفردوس المفقود» والواسع الحيلة والتصرُّف في الشعر المرسَل ، فلم يجر وراء الديباجة وانما حلّق بروحانيته في سماء الشعر يستوحي إلهـامَه لبحثٍ جديدٍ ومرمًى بعيد .

وها نحن أولاء نرى المُنتَخَبَ من الشّعـر الانجليزي لطلبة المدارس الابتدائية المصرية أبعدَ ما يكون عن رصفِ الالفاظ ، ونرى العنايةَ فيه موجّهةً الى اختيار الموضوعات الطبيعية أو الفكرية



أو الخلقية المهذَّبة في قالَبٍ عصريٍّ بعيدٍ عن التحذلق أو التقيُّد بالماضي .

فبينما طفلتي في الثالثة من عمرها تحفظ :

Twinkle, Twinkle, litte star:
How I wander what you are !
Up above the world so high
Like a diamond in the sky.

ومطلع هذه الابيات يقابله بعض المقابلة في مستواه النظري شعرنا العربي الفلسفي :

رُوَيداً أيّها الفَلَكُ المُدارُ ! أقَصْدٌ ذا المَسيرُ أم اضطرارُ ؟!

(فيدفعها ذلك الى سؤالي عن سرّ هـذا النجم المتلألىء ومعنى السماء ، ويدعوها الى التأمّل والدرس بالمشاهدة منذ نشـأتها) ، إذْ باستاذنا العربي يلقن طلبته من مجموعةٍ مقرّرةٍ قول أبي العتاهية في وصف البنفسج :

ولازَورديةٍ تزهو بزرقتها
بين الرياضِ على حُمْرِ اليواقيتِ
كأنَّها فوق قاماتٍ ضعفْنَ بها
أوائلُ النارِ في أطرافِ كبريتِ !

ويقول لنا ـ سامحه الله ـ شارحاً : « أوّل ما يوقد الكبريت يكون لهبُهُ أزرقَ فيُشَبِّهُ بعيدانه ولهبه البنفسج ، وهو أحسن تصوير لزهر البنفسج » ... ! والطالبُ المتأمل في هذين البيتين يجد أوّلها رثّ المعنى يذكّره بمقارنات ابن المعتزّ الجوهرية والمعدنية، وأما البيت الثاني فلا ينمّ الا عن معنًى ضعيفٍ وخيال معكوس ، فانَّ مرأى البنفسج بل أيّ زهر لا يُشعر الانسان بالجودة حتى نسمح بادخال التشبيه الكبريتي في مجال الوصف ، كذلك لا ينفرد بالحسّ النظري بل تصحبه خواطر وعواطف حسنة جديرة بالتعبير عنها ، وشتان بين البنفسج العطر وبين الكبريت الخانق برائحته الكريهة ! ...

فهل من الرّجاحةِ الفنّيةِ أن يُلهينا وصفُ المرئيّ عن تذكُّر كنهه ، فنقع في مثل هذا الخطأ القبيح من التشبيه ؟ انَّ الزهرَ قرينُ الليونة والجمال والعطر ، والنرجسُ يُشعر في ميله بالحياء والوداعة وبغير ذلك أيضاً من المعاني النفسية ، فكيف يُغفَل هذا الشعور فيموت حُبًّا منّا في التعلّق بعيدان الكبريت ؟ !

مثل هذا النظم لا يحوي ذرةً من الشاعرية فلن يبثّها في نفوس الطلبة ، ولن يفتح أذهانهم لفهم جمال الطبيعة ، كما أنه لن ينصف الشعر العربي القديم الذي يجمع الكثير من آيات الجمال ، وما كان

عدلاً أن يؤمّن مثل أبي العتاهية على وصف الطبيعة وهو الشحيح الذي تخصّص في وصف الزهد الكاذب ولم يفرحه شيء مثل كنز المال ، ولم يعرف للطبيعة رونقاً يهيم به !

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من أشباه هذا النوع من النظم يحفظها التلاميذ « لينسجوا على منوالها » موقنين بأنّ الشعر انما هو « مفردات وتراكيب عربية موزونة » .... أليس من السّخف مثلاً أن يُلقَّن تلميذ المدرسة الابتدائية هذا النظم المخالف كل المخالفة لأصول التربية الحديثة :

وابدأ عَدُوّكَ بالتحيةِ واتمكنْ

منه زماناً خائفاً تترقّبُ

واحذرْه إنْ لاقيتَه متبسّماً

فالليثُ يبدو نابُهُ إذْ يغضَبُ

إنّ العدوّ وإنْ تقادمَ عهدُهُ

فالحقدُ باقٍ في الصدُور مغيّبُ !

فبئستْ هذه المعاني التي تُبثُّ في نفوس الطلبة الصغار ، وبئس هذا النمط من الإنشاء الذي يُطلَب اليهم أن ينسجوا على منواله !

فأين هذا النظم من هذه الأقصوصة الوصفية الفلسفية البديعة

عن « النبات الصغير » التي يحفظها بالانجليزية طلبة المدارس الابتدائية المصرية وهي من نظم كيت براون (Kate L. Brown):

The Little Plant

In the heart of a seed
Buried deep so deep.
A dear little plant
Lay fast asleep.
"Wake", said the sunshine,
"And creep to the bright":
"Wake", said the voice
Of the raindrops bright.
The little plant heard
And it rose to see
What the wonderful
Outside world might be.

وما أشكّ في أنّ الانتقال من الاسلوب الخبري الذي تعودناه قرونًا كثيرة الى الأسلوب القصصي الخيالي الوصفي يحتاج الى بعض التدرّج ، وما ألوم المتدرّجين ـ وأنا أحدهم ـ وإنّما لومي منصبّ على أولئك الجامدين الذين يعيشون في غير عصرهم عالةً على أهل القرون الخوالي في كلّ شيء تقريبًا من فكر الى تراكيب الى مفردات ، ثم يتشدّقون بعد ذلك بالديباجة !

لا تطالبنا أصولُ التربية العصرية بتغذية الملكة الشعرية الفهمية في نفوس الناشئين حسب أسنانهم فقط ، بل تطالبنا أيضاً باختيار الموضوعات والأساليب التي تناسب العصر ، وقد تطالبنا كذلك باغفال أولئك الرجال الذين ساءت سمعتهم واتّصفوا بعيوب ممقوتة أمثال اسكار وايلد ، فدراسة هؤلاء أوْلى بأن تُترَكَ لغير الطلبة الأحداث لأنها تمثّل تناقضاً عجيباً : وهو تقديرُ وإكرامُ مَنْ هو أولَى بالتحقير أو بالاغفال على الأقلّ في معاهد الدراسة الابتدائية ، فليس الشعراء بالأسماء والألفاظ والأبيات وانّما هم سِيرٌ ومبادىء وعواطف قبل كلّ اعتبار آخر .

وقد جرى معظمُ المؤلفين جرياً خطأً في تعريف الشعرِ وفهمهِ ، وكان تشبّثهم بأذيال الديباجة داعياً الى نسيان أنفسهم في وادي التيه ، فغاب عنهم سِرُّ الشعر وتعثروا في بادىء الأمر ، وما يُقال عن أولئك المؤلفين يُقال أيضاً عن بعض الشعراء الذي يشغلهُ التفكيرُ في براعة المطلعِ ، وبناء القصيدة ، وحسن السبك بل حسن الحشو إنْ كان للغو الكلام المزخرف حُسْنٌ ! وأمثال هؤلاء الافاضل يُنكرون انّ الشعر صورةٌ صغيرةٌ أو كبيرةٌ من الفلسفة السائغة المرسومة بريشة المتفنّن الحاذق ، وانّه في درجاته بمقاييس تناسب طبقات الناس ، وانَّ الشعر الصادق لن يعادي الفلسفة

وان يتخلى عن صحبتهــا في وقت ما . وبناء على ذلك فسواء نُظم الشعر للصغار أو للكبار فمن طبعه أن نشم منه عبق الفلسفة المستعذبة.

ليس من الشعر في شيء مثلاً أن ينشدنا الشاعر العربي :

ولما قضينا من مِنىً كلَّ حاجة

ومسّحَ بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المهارى(١) رحالنا

ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطرافِ الاحاديثِ بيننا

وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ

فانه كلامٌ خبريٌّ عاديٌّ لا ميزة له الا في حلاوة ألفاظه .

ومثله تقريبا قول البحتري :

ذاك وادي الأراكِ فاحبس قليلاً

مُقصِراً في ملامةٍ أو مطيلاَ

لم يكن يومُنا طويلاً بنعما ن ، ولكنْ كان البكاء طويلاَ

وان كان أرقى من سابقه قليلاً لما يوحيه من معنًى مُضْمَر .

وهذه الحلاوة اللفظية مرَضٌ استولى على كثيرين من أدباء مصر وشعرائها على الأخص ، وخلق غشاوةً على بصائرهم حرمتهم

(١) أي على الظهور البارزة للنجائب السباقة

من استيحاء مَلاكِ الشعر فتبعوا شيطانه وضلّوا غافلين في أوهامهم . فصار أقصى ما يطمح اليه أحدُهم أن يُشبَّه بشاعر متقدم !!... فاذا ما قال شاعرٌ من السلف الصالح :

اذا ذهبَ العتاب فليس ودٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ

وجب على شاعرنا العصري أن يقول في براعة استهلاله :

أمَّا العتابُ فبالأحبة أخلقُ

والحبُّ يصلح بالعتاب ويصدقُ

وإن كان المتقدمين شغفٌ بالكلام الجامع وجب أن يكون لشاعرنا العصري نظير ذلك ، وأن لا يتورَّع عن النحت من أمثالهم وحكمهم ، وأن يطالبنا نظير هذا الفضل العظيم بحفلات التكريم ، وأن تؤهله غفلة الأدباء لشراء أقلام المسبّحين بحمده الدائم في المجلات والصحف . وهذا مما أدّى الى إفساد الذوق الأدبي ، والى انحطاط المستوى الشعري بيننا اذا ما قارنّاه بمستواه لدى الأمم الشاعرة من شرقية وغربية كالهنود والفرس والأوروبيين عامة !

وقد كان طَبْعُ البحتري العناية بصفاء الديباجة وجمال النسج والحلاوة اللفظية ، بَيْدَ أنه لم يخذل الشعرَ في مواقف كثيرة ، ومن حسناته قوله في وصف (بركة المتوكل) الشهيرة :

يا من رأى (البركةَ) الحسناءَ رؤيتَها
والآنساتِ إذا لاحتْ مغانيها
يحسبْها أنّها في فضلِ رتبتِها
تُعَدُّ واحدةً والبحرِ ثانيها !
ما بال (دجلة) كالغيرى تنافسها
في الحسنِ طوراً وأطواراً تباهيها !
أما رأتْ كالئَ الاسلامِ يكلؤها
من أن تُعابَ وباني المجدِ يبنيها ؟!
كأنَّ (جنَّ سليمان) الذين وُلُوا
إبداعَها فأدقُّوا في معانيها !
فلو تمرُّ بها (بلقيسُ) عن عَرَضٍ
قالت هي الصَّرحُ تمثيلاً وتشبيهاَ
تنصبُّ فيها وفودُ الماءِ معجلةً
كالخيلِ خارجة من حبلِ مُجريها !
كأنّما الفضة البيضاء سائلة
من السبائكِ تجري في مجاريها
اذا علتْها الصَّبا أبدتْ لها حُبُكاً
مثلَ الجواشنِ[1] مصقولاً حواشيها

(١) الحبك والجواشن : الدروع .

فحاجبُ الشمسِ أحياناً يضاحكها
وريّقُ الغيث[1] أحياناً يباكيها
اذا النُّجومُ تراءتْ في جوانبها
ليلاً حسبتَ سماءً رُكّبتْ فيها !
لا يبلغُ السَّمكُ المحصورُ غايتَها
لبُعدِ ما بين قاصيها ودانيها
يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحة
كالطير تنقضُّ في جوٍّ خوافيها !
لهنَّ صحْنٌ رحيبٌ في أسافلها
اذا انحططْنَ وبَهْوٌ في أعاليها !
وكذلك قوله في وصف الربيع :
أتاكَ الرّبيعُ الطَّلقُ يختالُ ضاحكاً
من الحُسْنِ حتى كاد أن يتكلّماَ
وقد نبّهَ النّوروزُ في غلسِ الدُّجى
أوائلَ وردٍ كُنَّ بالامسِ نُوَّمَا
يُفتّقها بردُ النّدَى فكأنه
يبثُّ حديثاً كان قبلُ مكتّما

(١) أفضله .

ومنْ شجرٍ ردّ الربيع لباسه
عليه كما نشّرتَ وشياً منمنماَ

ورقَّ نسيمُ الريحِ حتى حسبته
يجيء بأنفاس الاحبة نُعَّماَ

ويدّعي بعض الشعراء انَّ مثل هذا التصوير الخيالي منافٍ لأرقى الشعر الذي يجب أن يصوّر « الحقيقـة » فقط ، وبعبارة اخرى هم يغالطون ويدافعون عن الأسلوب الخبري البحت في النظم الذي يسمّونه شعراً . واستُ أنكر أنَّ اكثر ميلي ينزع الى التصوير الواقعي في القصص بالنسبة للموضوع لاعتقادي انه يكون أبلغَ تأثيراً وأكثر فائدة ، ولكن هذا لايمنع في الوقت ذاته الوصف الخيالي الفنّي للشرح والتفصيل ، ولا يحول دون دقّة التصوير العميق بدل الوصف السطحي للاشياء والمناظر ، وبدل التعبير الوضيع المبتذل عن العواطف السامية .

إنّ التعلّقَ بالالفـاظ والديباجـة مفسدةٌ للتفـكير السليم ، فبدل أن يدرسَ الشاعرُ موضوعَه ثم ينصرف اليه بكايته عند النظم فيُخرجُ لنا منظومةً فنّيةً متصلةَ الاجزاء ، نراه يتخبّـط بين نظم أبياتٍ مبعثرةٍ ثم يصل بينها صلةً صناعيةً لاحياة فيها ، و يطيل باسم « التنقيح » الابدالَ فيها حتى تخرجَ ولاسمةَ لها

من العواطف او التفكير الدقيق وانّما عليها طابعُ الصناعة فقط ومن هذا القبيل قصيدةٌ لشاعرنا الاجتماعي الكبير الاستاذ حافظ بك ابراهيم نظمها لحفلة جمعية رعاية الاطفال فقضت شاعريته المرهقة الاسيرة بأن يستهلّها بوصف قطار! ومن هذا القبيل الامثلة الجوفاء التي يصوغها شاعر النيل الشهير الاستاذ شوقي بك عن غير دافع نفساني سوى الرغبة في أن يُقرَن اسمه بأسماء مشاهير المتقدمين من حكماء الشعراء ، فيقول لنا عابثاً بكرامة الشعر :

فلم أرَ غيرَ حُكمِ اللهِ حُكماً ولم أرَ دون باب الله باباَ
وانَّ البرَّ أبقى في حياةٍ وأبقى بعد صاحبه ثواباَ

ويتدلَّى اخيراً لاستعمال الألفاظ الغريبة سَتْراً لما أصاب شاعريته من عَجزٍ بيّنٍ هو أوّلُ مسؤول عنه نظراً لقلة إخلاصه لفنّه ، ولتقلّبه المستمرّ في آرائه ، ولمتابعته الرّكاب المختلفة حسب تبدُّل الظروف والأجواء السياسية ، فجنى كلُّ ذلك على شاعريته جنايةً حكمت عليها آثاره الأخيرة المضطربة حكماً هو أنزه كثيراً من حفلات التكريم الملفّقة التي تقيمها مُجامَلَةُ الصُّحبةِ ونفوذُ المال .

وانَّ لشوقي ولغير شوقي من كبار شعرائنا (الذين يعدّون بطبيعة الحال أساتذةً سابقين لأمثالنا من شعراء الشباب) لحرمةً

خاصةً في مواقف خاصة ، واذا دعا داعي الحقّ الشريف الى شدّة نقدهم أحياناً ، فما هذا بالذي يبخسهم قدرَهم الذي هو في ذمة التاريخ . بَيْدَ أنه من المحال لـكلّ ذي وجدان شريف يغار على مستقبل الناشئة المصرية أن يسكت عن إدخال الجاملات المعروفة في معاهد الدراسة، ولهذا لم يكن لقلمي مُنْتَدَحٌ عن كتابة هذه الملاحظات التي يشاركني فيها كثيرون من الادباء المجدّدين .
كذلك ليس من المنتظر أن يسكت الشعراء المجدّدون عمّا يُنْتَقَصون من أجله ظُلْماً بينما كلُّ ذنبهم أنهم ينشدون الحريةَ المعقولةَ في التعبير كما ينشدونها في التفكير ، ويعملون باخلاص لصيانة حرمة الأدب ورفع مناره وبثّ نوره في جميع الطبقات ، مبتدئين بالطبقة المتعلمة الناشئة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ القويم لا أنظر لهذا (المنتخب) الاّ نظرةَ الوالد الى طفله ، بل نظرة النباتيّ الى غرسه الجديد الذي يؤمّل أن يتبعه غرسٌ أصلح ، مؤمناً بسنّة التدرُّج والتطوُّر ، رافضاً التقليدَ الجامد ، مكتفياً من القديم بالأساس ، مكرّماً حاجات العصر ، مُقدّساً آمال المستقبل . فللمعلّم وللتلميذ أن يقدّرا وأن ينتقدا ما شاء لهما التأمُّلُ منظومَ هـذا الـكتاب الذي لم يفتْهُ الاخلاصُ والغيرةُ الأدبيـةُ إنْ فاته العصمة والـكمالُ المنسوبُ لمجاميع

نظمية اخرى !

تضمّن هذا (المنتخب) قطعاً كثيرةً غير مألوفة في كتب المحفوظات النظمية العربية ، ولكنها في الواقع مما يجب أن يكون مألوفاً ومما له نظائر في كتب المحفوظات النظمية الاوروبية ، فلا غبار عليه من هذه الوجهة ما دمنا نريد أن نجاري الغربيين في تربيتهم الفكرية التي هي نتيجة الخبرة الطويلة . ولا وجهَ للاعتذار عن العلوّ المزعوم لهذه المقطوعات أو القصائد عن مستوى الفرقة النهائيـة للمدارس الابتدائية ، ما دمنا نرى أنَّ مستوى التعليم قد ترقّى كثيراً عما كان عليه منذ عشر سنوات مثلاً ، فما كان صالحاً في ذلك الوقت وممدوداً راقياً أدال الزمنُ من رُتبته . وقد يتعصّب للمختارات القديمة مَنْ أقاموها من رجال التعليم الذين يُقال كثيراً عن اطّلاعهم على الآداب الغربية بينما لا يبدو أيُّ أثرٍ للدلالة على ذلك في ما يختارونه من مقتطفات سواء قديمة أو عصرية ! وأين منزلة مقطوعاتهم من أمثال هذه المبتدعات الجميلة المناسبة التي يستظهرها بالانجليزية طلبة المدارس الابتدائية ؟ :

(١) من نظم (بوب Pope) في جمال الوجود وحكمته :

All nature is but art unknown to thee ;
All chance, direction which thou canst not see;
All discord, harmony not understood;
All partial evil, universal good.

(٢) من نظم (جولدسمث - Goldsmith) في حبّ الوطن :

And as a child, when scaring sounds molest,
Cling close and closer to his mother's breast,
So the loud torrent and the whirlwind's roar,
But bind him to his native mountains more.

(٣) من نظم (هرّق Herrick) في أنوار الفاكهة المتساقطة :

Fair pledges of a fruitful tree,
Why do you fall so fast ?
Your date is not so past,
But you may stay yet here awhile
To blush and gently smile,
And go at last.

(٤) من نظم (لنجفلو - Longfellow) في حياة الخير والعظمة :

Lives of great men all remind us
We can make our lives sublime,
And, departing, leave behind us
Footprints on the sands of time.

(٥) من نظم (وردزورث - Wordsworth) في رجاحة التقدير :

Small service is true service, while it lasts :
Of friends, however humble, scorn not one ;
The daisy by the shadow that it casts,
Protects the lingering dew drop from the sun.

(٦) من نظم (سُوذِي – Southey) في جمال الليل وطُلوع القمر :

How beautiful is night!
A dewy freshness fills the silent air:
No mist obscures, nor cloud, nor speck, nor stain.
Breaks the serene of heaven.
In full - orbed glory yonder moon divine
Rolls through the dark - blue depths;
Beneath her steady ray
The desert - circle spreads,
Like the round ocean girdled with the sky.
How beautiful is night!

إنَّ الوسيلةَ الطبيعيّةَ لإذاعةِ أفضل أساليب اللغة انما هي النثر ، و(القرآنُ) الكريمُ ذاته من جوهر النثر ، وأمّا الشعرُ فديوان الفلسفة والفكر والعاطفة والتصوير الفنّي قبل كل اعتبار ، ومن العبث أن يتحكك مَنْ ضعفتْ شاعريتهُ باللغة مدّعياً خدمتها بنظيمه حتى تهبه الحمايةَ من نقد الناقدين ولَوْمِ العاذلين . وما ضعفت اللغةُ ولا ضعف الشعرُ الاّ في عصور الضعف والجهل ، وانّ رجوع القوة الأدبية ونشر التعليم وترقيته هو الذي أخرج لنا أمثال البارودي وإسماعيل صبري ومصطفى نجيب والمويلحي الكبير والاستاذ الامام وحفني ناصف واليازجي وغيرهم من فحول الشعراء

وكبار الكتاب الأخيرين الذين جدّدوا شباب اللغة وأنصفوا العلمَ والفكرَ وروحَ العصر . وكلُّ المعاصرين من كبار أهل البيان انما هم تلاميذهم ، ولن يجحد فضلهم الاّ من تملّكه الغرورُ والزّهوُ وغلب عليه نكران الجميل والدعاوى الباطلة . وانّ امةً يوجد بين فطاحل كتابها اللغويين المعاصرين أمثال خليل مطران ومصطفى صادق الرافعي ومحمد صادق عنبر والسيد رشيد رضا ومحمد بك المويلحي واسعاف النشاشيبي وأنستاس الكرملي لهي في غنًى تام عن لغْوِ أيّ شاعرٍ — كيفما كانت منزلته — بدعوى إحياء اللغة كأنما كلُّ مَنْ حوله من الأعلام النابغين أصنامٌ مجهولة ! وبهذه الصراحة أُعزِّز بكل قواي تعريفَ الشعرِ الأصدق ، وأدعو قارئَ الشعر الناشئَ وحافظه الى النظر اليه نظرةَ التالي لآياتٍ فنيةٍ رائعةٍ ، لا نظرة المستظهرِ لكلماتٍ لغويةٍ مرصوفةٍ ولبيانٍ مدفونٍ يُراد احياؤه عبثًا وأُنوفُنا راغمةٌ !

لسنا مَنْ يبخس أشعارَ العرب المتقدّمين قدرَها ، فهي متعةٌ أدبيةٌ لكلّ أديبٍ يدرسها دراسةً تاريخيةً فقط ، وحينئذ فله أن يغتبط ما شاء أن يغتبط « بالجمهرة » و « المفضليات » و « الهاشميات » و « أراجيز العرب » وأشباهها ، وبالدواوين المستقلة الكثيرة للمولدين . ولكننا نقدم دراسةَ الشعر العصري

عليها ، لأنه أوْلَى بالدراسة لجمهور المتأدبين والناشئين الذين لا يشرّفهم أن يجهلوا بيانَ عصرهم ومعانيه ونظراته ، بينما يلمّون بالأساليب العتيقة وأوهام القرون الخالية مما لا يخلو من أثرٍ في تكييف أذواقهم الأدبية وعقلياتهم .

أجل ، لسنا مَنْ يبخسُ أشعار المتقدّمين قدرَها ، ولا مَنْ ينتقص منازلَ أصحابها الفحول الذين لو عاش أمثالُهم في عصرنا الحاضر العجيب لربما نفحوا الأدبَ بطُرَفٍ سنية خالدة ، وانما نرى أنَّ توجيه العناية الكبرى لدراستهم وتعويد الطلبة أن لا يأبهوا الشعر عصرهم خطأ كبير في التربية والتعليم ، وانَّ من العبث أن يُنقدَ البيانُ العصريُّ تحاملاً ثم يُهلّل تهليلاً لمثل هذا النظم من كلام امرىءِ القيس :

> ترى بَعَرَ الآرامِ في عرصاتها
> وقيعانها كأنَّه حَبُّ فُلفُلِ !

على ما فيه وأشباهه في « معلّقته » من عجزٍ موسيقيٍّ غير مقبول يسمّونه إباحة عروضية جائزة ، بينما أهونُ الاباحاتِ العصرية التي يرتضيها ذوقُنا الحاضر لا تنال الاَّ سخطَهم لغير ما سبب سوى أنَّ السلف الصالح لم يسنّها ! وينتقدون مزْجَ البحور المتجاورة في الموشّحات العصرية والشعر المرسل الجديد ، وان

أجاز ذلك مَنْ هم أكثر تضلُّعاً منا في الموسيقى والنظم ومَنْ هم أعظم قسطاً منّا في الذوق الفني وهم شعراء الغرب (راجع مثلاً كتاب The Art of Versification and the Technicalities of Poetry تأليف R. F. Brewer وأمثاله من مؤلّفات عروضيّة) ، بينما يحبّذون لنا أن نعشق أمثال هذه الحجارة المرصوصة [١] :

يا آلَ بكرٍ ألاَ للهِ أُمُّكُمُ
طالَ الثَّواءُ وثوبُ العجزِ ملبوسُ
أغنيتُ شأني فأغنوا اليومَ شأنكمُ
واستقحموا في ذكاءِ الحربِ أو كيسوا
إنَّ العلافَ ومَنْ باللَّوذِ من حضنٍ
لمَّا رأوا أنّه دينٌ خلابيسُ
ردُّوا عليهم جِمَالَ الحيِّ فاحتملوا
والضيمُ يُنكرُهُ القومُ المكاييسُ
كونوا كسامةَ اذْ شعفٌ منازلهُ
ثم استمرَّتْ به البُزْلُ القناعيسُ

الى آخر هـذه المنظومة التي لا قيمة لها في عصرنا الآ من الوجهة الأثرية فقط .

---

(١) مختارات ابن الشجري .

ومن العجيب أنَّ اولئك السادة المتنطّعين الذين يوهموننا بأنهم يسجدون لميت اللّغة ، والذين يحرّمون من أوزانٍ وتصرُّفات ما يبيح نظائرَها الشّعْرُ الاوروبي الوثيق الصلة بأرقى الموسيقى — من العجيب أنَّ اولئك السادة هم بعينهم الذين لا يتورعون فينهبون معاني المتقدّمين نهباً بدل أن يجاروا المجدّدين في ابتكار المعاني وصقل المفردات العصرية وتنويع الأساليب الانشائية . فاذا قال الفرزدقُ منذ نيف واثنى عشر قرناً :

وأجّانة ريّا الشروب كأنها
اذا اغتمست فيها الزجاجةُ كوكبُ
مختّمة من عهدِ كسرى بن هرمزٍ
بكرنا عليها والفراريجُ تنعبُ
سبقتُ بها يومَ القيامة إذْ دنا
وما للصبا بعد القيامةِ مطلَبُ

لم يفتْ شاعرنا « العصري » أن يقول مجارياً :

خبّأها كاهنٌ ناحيةً في الهَرَمْ
اكتشفتْ فامّحتْ غير شذًى أو ضَرَمْ

وانْ قال الفرزدق :

فلو كنتُ ذا نفسين إنْ حلّ مُقبلاً

باحداهما من دونك الموتُ أحمراً

حييتُ باخرى بعدها إذْ تجرّمتْ

مداها عَستْ نفسي بهـا أن تعمّراً

لم يفت الشاعر العصري مجاراته بقوله :

لو كان لي قلبان عشتُ بواحدٍ

وتركت قلباً في هواكِ يُعذَّبُ

وهكذا تتناسخ المعاني وربما تناسخت الألفاظ أيضاً ،

فنصفّق لها اكباراً لمعجزة الاحياء للغة والشعر !

***

والخلاصةُ انّه اذا كان من واجبات المعلّم أن يمرّن الطلبةَ على صحة القراءة وحسن الالقاء ، وأن يشرح المفردات اللغوية والمعاني الشعرية ، فمن أقدس واجباته أن يحبّب الى نفوس الطلبة أحاسنَ النَّظم العصري دون تحيُّزٍ ، وأن يجعلهم يشعرون شعورَ بيئتهم ويقدّرون معاصريهم من الشعراء التقديرَ الواجب ، وأن يعوّدهم تدريجياً النقدَ الأدبي الصحيح قدرَ طاقتهم الفكريّة ، وأن لا يَنْسَى أنَّ نهضة الامة لا يضمنُها التخلّفُ والنظرُ الى

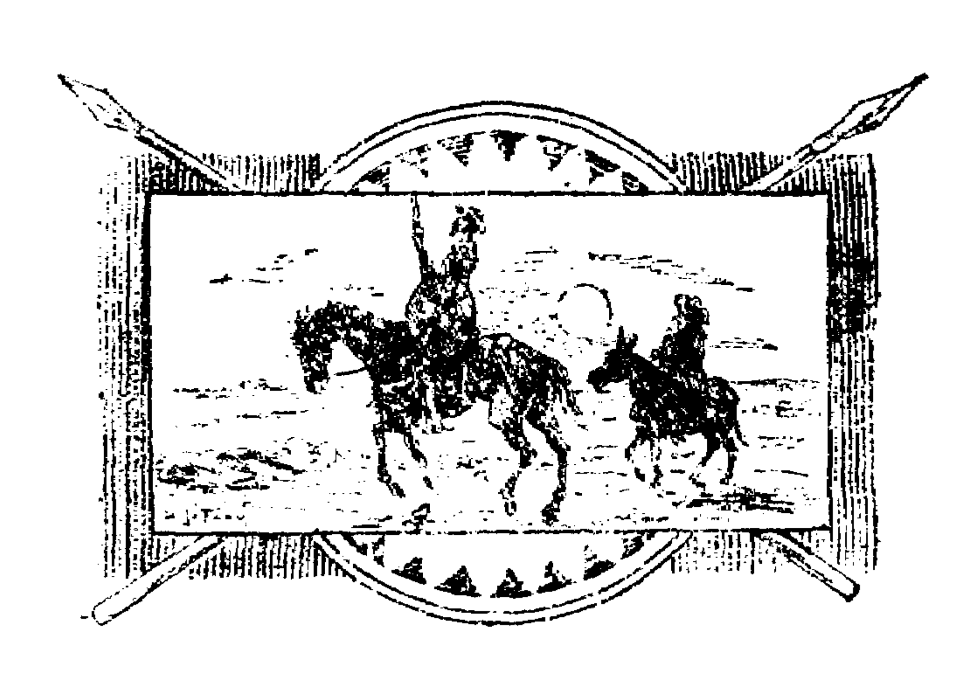
الوراء وانما يعزّزُها دَرْسُ الحاضر والتطلُّعُ الى المستقبل والاقدامُ ، فعلى هـذه المبادىء في تعليم الأدبِ كما في غيره تُثقَّفُ الناشئةُ التثقيفَ المعقول الذي يُنشيء رجالاً غيورين على حاضرها ومستقبلها بمقدارِ غيرتهم على تُراثِ ماضيها ؟

أحمد زكي أبوشادي



فهرس

صفحة



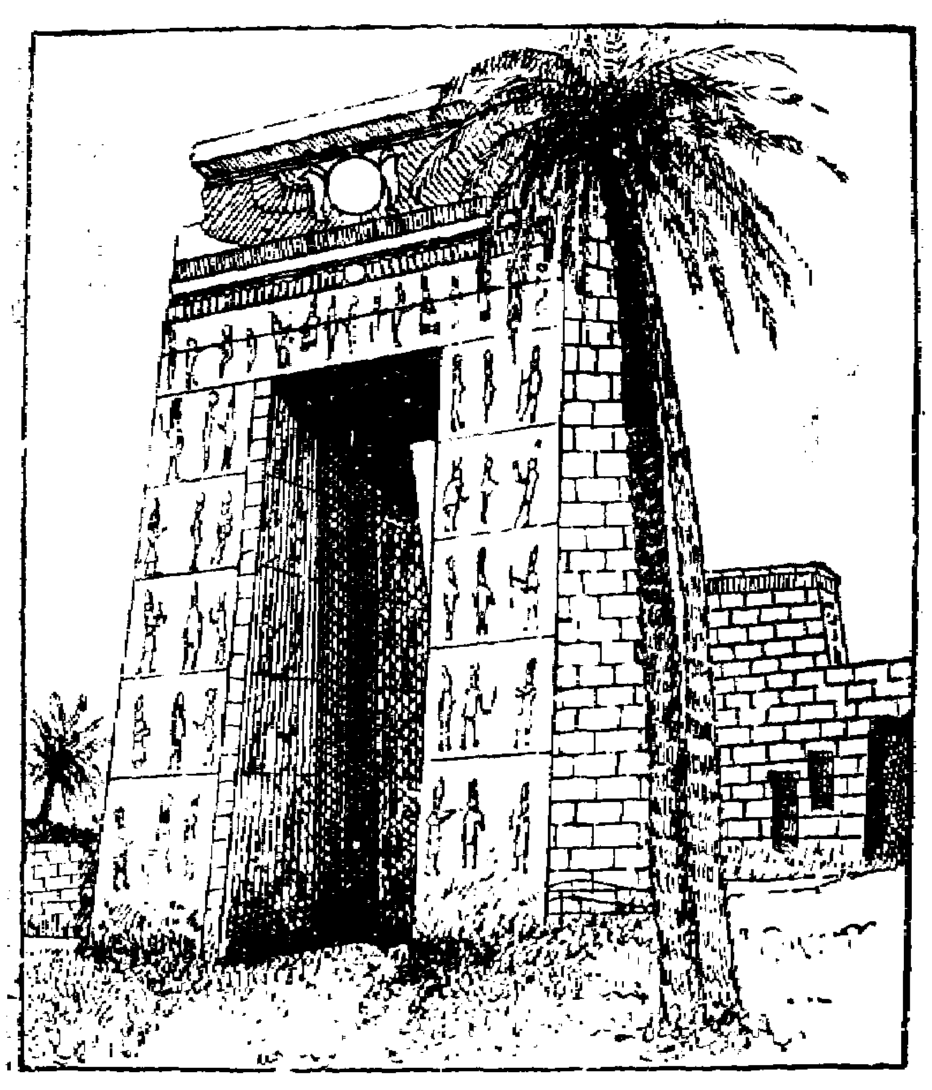
ملحوظة:

اتّبعنا في ضبط ألفاظ هذا الكتاب الطريقةَ المصريةَ المألوفة وهي التقييدُ بعلامات الاعراب أكثر من مراعاة اشارات النطق ، لا سيما وقواعد النطق معروفةٌ جيداً لدى طلبة المدارس المصرية : كاغفال النطق بهمزة الوصل عادةً ما لم تقع في أول الـكلام . وقليلاً ما أبحنا الاثباتَ (حيث يجب الحذف) منعاً للالتباس أو رغبة في الاشباع الصوتي عند قراءة الشعر كما وقع في البيت الختامي بالصفحة الخمسين . وليست الشُروحُ الواردة في ذيول الصفحات بالتي تُحتّم أنها وحدها التي تقبلها معاني الشاعر ومراميه .



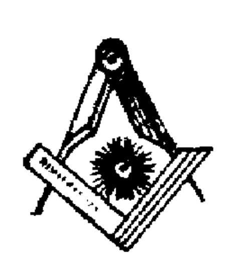
وطن الفراعنة

مُثُل من الشعر القومي



خير كتاب وطني المحفوظات الشعرية لطلبة المدارس الثانوية

ثمن العدد ٥٠ مليماً ، وبالجملة للمدارس ٣٠ مليماً عن كل نسخة



روح الماسونية و البناية الحرة

مؤلفان نفيسان من وضع الاستاذ الدكتور أبي شادي جمعا صفوة المعلومات التاريخية والفلسفية والتهذيبية عن الحركة الماسونية مع تلخيص جميل ومقتطفات مفيدة شائقة من المؤلفات العربية والأوروبية ، فضلا آراء المؤلف الناضجة وملاحظاته التي هي ثمرة اطلاع واسع وخبرة وتحقيق ورغبة في نشر الفضائل و نصرة الانسانية .

وكلاهما مكتوب بلغة سهلة لذيذة — هي لغة الخطابة الأدبية — تمليها نزعة شريفة لاذاعة الآداب الماسونية وبث روحها العالية ودفع ما يحيط بها من أوهام الجاهلين والغافلين الذين لا يقدرون أثرها العظيم في تقدم الانسانية وصيانة حقوقها المؤسسة على الحرية والاخاء والمساواة منذ أقدم العصور الى وقتنا الحاضر .

ثمن كل من الكتابين خمسون مليماً وأجرة البريد قرش ، ويطلبان من المكاتب الشهيرة في الاقطار العربية ومن المطبعة السلفية بالقاهرة

الأدب الجديد

وكلمات في الشعر والشاعر

من تأليف وجمع

حسن صالح الجداوي

[المطبعة السلفية • ١٠٨ صفحة • الثمن ثلاثون مليماً]

قالت مجلة (الهلال) عن هذا الكتاب انه « . . . يبحث في الفن والصناعة والتقليد والابداع والشعر الصوفي والشعر الالحادي ونحو ذلك ؛ مع نقد ايضاحي لشعر الدكتور احمد زكي ابي شادي . وللاستاذ الجداوي أسلوبٌ طليٌّ وأفكارٌ سامية في الأدب جديرةٌ بأن يعرفها النشء الجديد ».

بَيْد أنَّ للكتاب ميزةً اكبر من ذلك : وهي اثارته النزعةَ الاستقلالية في التفكير ودَرْس الشعر درساً صحيحاً لا أثرَ للمجاملة ولا للرهبة فيه . فهو من الكُتُب الحقيقة بعناية الطلبة تمريناً لهم على الدرس المنطقي التحليلي للأدب . وهو مكتوبٌ بلغة غاية في السلاسة والطلاوة ، ومطبوعٌ طبعاً نفيساً .

مؤلفات أبي شادي

وما كتب عنه

	ص		ص
نكبة نافارين (قصيدة قومية تاريخية)	٣	مها (قصة شعرية)	٥
زينب (شعر غنائي)	٣	الأدب الجديد (كتاب نقدي نفيس)	٥
مصريات (نخب من شعر الوطنية)	٥	روح الماسونية	٥
أنين ورنين (صور من شعر الشباب)	١٥	البنابة الحرة	٥
شعر الوجدان (مختارات شعرية)	١٠	ذكرى شكسبير (شعر)	٣
مفخرة رشيد (قصيدة قومية تاريخية)	٥	المنتخب من شعر أبي شادي	٥
انهاض تربية النحل في مصر (خطبة مصورة)	٣	الشفق الباكي (ديوان شعر تحت الطبع)	٢٠
نظرات نقدية في شعر أبي شادي	١٠	احسان (أوبرا مصرية تحت الطبع)	٥
وطن الفراعنة (مجموعة من الشعر القومي)	٥	كلمات ضائعة (مؤلف لغوي تحت الطبع)	٥
عبده بك (قصة شعرية)	٣	مبادىء الأبقلطوريا (تحت الطبع)	١٥

تضاف اليها اجرة البريد

وتطلب من جميع المكاتب الشهيرة في الاقطار العربية

المطبعة السلفية ومكتبتها

بشارع الاستئناف بباب الخلق بالقاهرة

تصحيح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٧	واعطني	تُعْطِني
٢٠	٩	ماءُكِ	ماءكِ
٣٦	٥	حارة	حرارة
٤٠	١٣	اذ كرت	ادّ كرت
٤٤	١١	غيرَ	غيرُ
٤٦	٣	اَلجُبين	الجَبين
٤٩	٤	يعرَفه	يعرفُه
٤٩	١٧	الصاخب	الصاخب (١)
٥٧	٩	حملته	حمّلته
٦١	٥	أصطحابي	اصطحابي
٥٢	٤	الفضفاضَ	الفضفاضِ
٦٨	١٣	خلفاء	خلقاء
٨٣	١٥	ناظم	ناظم قصيدة
٨٦	٥	هرقْ	هرقَ
٨٧	٥	Wander	Wonder

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٠	٩	bright	light
٩٢	٨	بينا	بيننا
٩٥	٤	فيا	فيها
١٠٦	٣	حيبت	حييت

